

استفهامات المعاندين في القرآن الكريم
جمع ودراسة

د. أحمد عبد الله علي الدروبي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

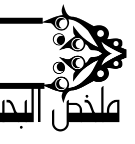
معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

DR. AHMAD A. ALDROBI

ASSOCIATE PROFESSOR OF TAFSEER AND QURAN SCIENCES

UMM AL-QURA UNIVERSITY

ARABIC LANGUAGE INSTITUTE



ملخص البحث

هذا البحث هو محاولة لتتبع الاستفهامات التي وردت في القرآن الكريم على لسان المعاندين للرسل والتي هي في حقيقتها اعتراضات وشبهات لا تخضع لميزان العقل أو الجدال السليم، وحاولت في هذا البحث بيان مرادهم من إطلاق الاستفهام إذ أنَّ الاستفهام ليس على حقيقته التي هي الاستخبار والاستعلام بل في كثير من الأحيان يراد به الإنكار أو الاستهزاء ونحوها من الأغراض، وفيه محاولة لتلمس الأسلوب القرآني في الرد عليهم من خلال السياق القرآني لهذه الاستفهامات ، وقد وجدت هذه الاستفهامات في خمس مجالات: الإيمان بالله تعالى، و النبوة، واليوم الآخر والبعث والنشور، وفي النفاق والشبهات، وقد قدمت البحث بتعريف الاستفهام، وبيان أنواعه، وأدواته، وأغراضه، وعرفت المقصود بالمعاندين، وقد خلصت إلى نتائج أهمها أنَّ القرآن استخدم مع هؤلاء المعاندين أسلوب التهديد والوعيد كأبرز أسلوب يواجه به المعاندين وذلك نتيجة لعدم تقبلهم لمقتضيات العقول السليمة والحجج والبراهين.

الكلمات المفتاحية: معاند – استفهام – تفسير – إنكاري – استهزاء – أسلوب.

Abstract

This research, entitled "Queries of Defiance in the Holy Quran - Collection & Study", is carried out to gather and analyze the questions posed by the disbelievers to the messengers of Allah, as mentioned in the Holy Quran.

The research identified five areas of belief in which these queries came, namely, the Creator, prophethood, the day of judgement, hypocrisy, and fallacies. It also analyzed the style in which these queries were refuted in the Holy Quran.

The research concluded that these questions were, in their entirety, based on false arguments and deceptive reasoning, and were solely meant as means of objection and ridicule. It was also clear at the end of this study that the methods the Quran suitably used to repress these deviants from further presenting such misleading and dishonest queries were based on warnings of grave consequences of their deeds and threats of eternal life in Hell.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ تسليمًا كثيرًا، أما بعد: فإن تأمل كتاب الله تعالى وتدبر معانيه من أجَلّ القربات وأَفضلِ الطاعاتِ ؛ ففيه تذكير النفس بحقيقتها وغاية وجودها ومآلها، وفيه ترويض العقل لقبول الحق بالحجة والبرهان، وفيه غذاء الروح وسلوة النفس وصلاح القلب ولذة العلم وغير ذلك مما لا يسع هذا المقام عدُّه، وصدق الله عز وجل إذ يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾.ومن هذا الباب فقد وقع اختياري على موضوع من المواضيع التي يتطرق إليها المفسرون أثناء تفسيرهم وهو موضوع الاستفهام الوارد في القرآن، وهو في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، واخترت من هذا الموضوع ما يتعلق باستفهامات المعاندين التي خرجت في الغالب عن موضوع الاستفهام إلى أغراض أخرى كالإنكار والاستهزاء ونحوهما وسميته: (استفهامات المعاندين في القرآن الكريم – جمع ودراسة).

مشكلة البحث: تتبع الاستفهامات التي جاءت على لسان المعاندين لكشف الغرض منها، وبيان منهجهم في التعامل مع الدعوة، وبيان مدى مصداقيتهم في التعامل مع الحجة والبرهان الصادر عن الأنبياء، وبيان أسلوب القرآن في الرد عليهم.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى:

كشف زيف المعاندين في تصديهم للدعوة. الرد عليهم من خلال القرآن الكريم، ومقتضيات العقل الصريح. بيان الأسلوب القرآني في الرد على استفهامات المعاندين.

الدراسات السابقة:وقفت على رسالة علمية من كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد– باكستان، بعنوان "أساليب الاستفهام في البحث البلاغي وأسرارها في القرآن الكريم" للطالب محمد إبراهيم محمد شريف، وقد تناول موضوع الاستفهام بصفة عامة من المنظور البلاغي وهي غير ما نحن بصدده من جمع استفهامات المعاندين ودراستها من ناحية التفسير واستخلاص الفوائد والعبر على طريقة المفسرين.

خطة البحث: وقد جعلته في مقدمة هي هذه، ومبحثين وخاتمة، على النحو التالي:

المبحث الأول: مقدمات مهمة، وفيه مطالب: المطلب الأول: معنى الاستفهام. المطلب الثاني: أنواع الاستفهام. المطلب الثالث: أدوات الاستفهام. المطلب الرابع: أغراض الاستفهام. المطلب الخامس: تعريف المعاندين. المبحث الثاني: استفهامات الجاحدين وأغراضها، وفيه مطالب: المطلب الأول: الاستفهام في باب الإيمان. المطلب الثاني: الاستفهام في باب النبوة. المطلب الثالث: الاستفهام في باب البعث والنشور. المطلب الرابع: الاستفهام في باب النفاق. المطلب الخامس: الاستفهام في باب الشبهات.الخاتمة : وفيها أهم النتائج.

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: مقدمات مهمة وفيه:

المطلب الأول : معنى الاستفهام :

الاستفهام: أسلوب إنشائي من أساليب اللغة العربية حقيقته طلب الإفهام، فهو استفعال من الفهم، وصيغة استفعل في اللغة دالة على الطلب فهو طلب الفهم والفهم: العلم والعقل والمعرفة. قال ابن فارس: (فَهَمَ) الْفَاءُ وَالْهَاءُ وَالْمِيمُ عِلْمُ الشَّيْءِ، كَذَا يَقُولُونَ أَهْلُ اللُّغَةِ. (١) وفي لسان العرب: الفَهْمُ: مَعْرِفَتُكَ الشَّيْءَ بِالْقَلْبِ. فَهِمَه فَهْماً وفَهَماً وفَهامة: عَلِمَه؛ الأَخيرة عَنْ سِيبَوَيْهِ. وفَهِمْت الشَّيْءَ: عَقَلْتُه وعرَفْته. وفَهَّمْت فُلَانًا وأَفْهَمْته، وتَفَهَّم الْكَلَامَ: فَهِمه شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ. وَرَجُلٌ فَهِمٌ: سَرِيعُ الفَهْم، وَيُقَالُ: فَهْمٌ وفَهَمٌ. وأَفْهَمه الأَمرَ وفَهَّمه إِيَّاهُ: جَعَلَهُ يَفْهَمُه. واسْتَفْهمه: سأَله أَنْ يُفَهِّمَه. وَقَدِ اسْتَفْهَمَني الشيءَ فأَفْهَمْته وفَهَّمْته تَفْهِيمًا. (٢) قال العكبري: الاستفهامُ طلبُ الإفهام، والإفهام: تحصيلُ الفَهْم، والاستفهام والاستعلام والاستخبار بِمَعْنى واحدٍ، وَقد يكونُ الاستفهامُ لفظا وَهُوَ فِي الْمَعْنى توبيخٌ أَو تقريرٌ؛ فالتوبيخُ كَقَوْلِه تَعَالَى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ ﴾ والتقريرُ كَقَوْلِه: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ فقرَّره ليقول: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ ﴾ فَإِذا رَآهَا صارَتْ حَيَّةً لم يَخَفْ لِعِلمه أنَّ الله تَعَالَى جعلَ ذَلِك آيَةً لَهُ. (٣) قال الجرجاني في تعريفاته: الاستفهام: استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل: هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين أو لا وقوعها، فحصولها هو التصديق، وإلا فهو التصور. (٤)

المطلب الثاني : أنواع الاستفهام :

حقيقة الاستفهام كما سبق هي: طلب الإفهام في أمر غير معلوم للمستفهم وهذا هو النوع الأول ويسمى استفهامًا حقيقيًا.وقد لا يراد بالاستفهام حقيقته وإن استخدمت صيغته وذلك لعدم جهل المتكلم به بالحقيقة بل لأنَّ له غرضًا آخرًا كالتقرير والتهديد والتهويل والتفخيم، وهذا هو النوع الثاني وقد أشار إليه العكبري في تعريفه السابق بقوله: وَقد يكونُ الاستفهامُ لفظًا وَهُوَ فِي الْمَعْنى توبيخٌ أَو تقريرٌ.وهذا النوع من الاستفهام يسمى استفهامًا مجازيًا، هو المستهدف بهذا البحث.

المطلب الثالث : أدوات الاستفهام :

للاستفهام أدوات معروفة في اللغة، عدتها ثلاث عشرة أداة، بعضها أحرف وبعضها أسماء.فالأحرف ثلاثة: الهمزة و "أم" و "هل".وأما الأسماء فهي: "مَنْ" و"ما" و"كم" و"ماذا" و"كيف" و"أين و"أنَّى" و"متى" و"أيّ" و"أيّان". (٥)

المطلب الرابع : أغراض الاستفهام :

قد يخرج الاستفهام عن كونه طلب الإفهام لأغراض بلاغية كثيرة تعلم من سياق الكلام، وتدرك بالذائقة الأدبية، ومن أشهر هذه الأغراض (٦): التذكير نَحْو: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ ﴾.والافتخار نَحْو: ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ﴾.والتهويل والتخويف نَحْو: ﴿الْقَارِعَةُ ۝ مَا الْقَارِعَةُ ﴾.والتهديد والوعيد نَحْو: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴾.وَالأَمر نَحْو: ﴿ أَتَصْبِرُونَ ﴾.والتكثير نَحْو: ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ ﴾.والتنبيه نَحْو: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾.وَالتَّرْغِيب نَحْو: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ ﴾.وَالنَّهْي نَحْو: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾.الدُّعَاء نَحْو: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ﴾، أَي: لَا تُهْلِكنا.وَالتَّمَنِّي نَحْو: ﴿ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ ﴾.والاستبطاء نَحْو: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾.والتعظيم نَحْو: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.والتحقير نَحْو: ﴿أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾.والاكتفاء نَحْو: ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.والاستبعاد نَحْو: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ ﴾.والتهكم والاستهزاء نَحْو: ﴿ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ ﴾.وَالْإِنْكَار نَحْو: ﴿ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾.التقرير نَحْو: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴾.وغير ذلك من الأغراض، وقد

تتداخل الأغراض فيما بينها فيكون الاستفهام للتقرير والمراد به ذكر النعمة والمنة نحو: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، أو التخويف ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾، أو الإنكار والمراد به التوبيخ نَحْو: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾.

المطلب الخامس: تعريف المعاندين:

المعاند والعنيد: وهو الراد للحق مع معرفته له.قال ابن فارس: الْعَينُ وَالنُّونُ وَالدَّالُ أَصلٌ صحيحٌ واحدٌ يَدُلُّ عَلَى مُجَاوَزَةٍ وَتَركِ طَرِيقِ الِاسْتِقَامَةِ. (٧)قال الخليل: عَنَدَ: عَنَدَ الرّجل يَعْنُدُ عَنْداً وعُنُودًا فهو عاند وعنيد، إذا طغى وعَتَا، وجاوز قدره، ومنه: المعاندة، وهو أن يعرف الرّجلُ الشيءَ ويأبى أن يقبلَه أو يقر به. (٨) وفي لسان العرب: المعانَدَةُ والعِنادُ: أَن يَعرفَ الرجلُ الشَّيءَ فيأْباه وَيَميلَ عَنهُ؛ وَكَانَ كُفْرُ أَبي طَالِبٍ مُعاندة لأَنه عَرَفَ وأَقرَّ وأَنِفَ أَن يُقَالَ تَبِعَ ابنَ أَخيه، فَصَارَ بِذَلِكَ كَافِرًا. وعانَدَ مُعانَدَةً أَي خَالَفَ وردَّ الحقَّ وَهُوَ يَعْرِفُهُ، فَهُوَ عَنِيدٌ وعانِدٌ.(٩) قال الأزهري: المعَانِد هو المعارِض بِالْخِلَافِ لَا بالوفاق. (١٠) وفي التعريفات للجرجاني: المعاندة: هي المنازعة في المسألة العلمية، مع عدم العلم من كلامه وكلام صاحبه. (١١) فيتبين بما سبق أنَّ المقصود بالبحث هو استفهامات المعاندين الرافضين للحق المستكبرين عن قبوله المستهزئين بدين الله.

المبحث الثاني: استفهامات الجاحدين وأغراضها، وفيه مطالب:

المطلب الأول: الاستفهام في باب الإيمان:

لما كان الإيمان بالله وتوحيده وعبادته وحده سبحانه بما شرع هو أساس دعوات الرسل لا جرم سعى المعاندون لمعارضته ومحاولة نقضه بكل وسيلة.وهنا نستعرض الآيات التي جاءت عنهم على سبيل الاستفهام غير المقصود لذاته بل لما يورثه من شك وشبهة في باب الإيمان.

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ١٣.في هذه الآية الكريمة بيّن الله جل وعلا ردة فعل المعاندين عندما يؤمرون بالإيمان، وفيها مسائل:المسألة الأولى: الاستفهام في قولهم: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾، إنكاري (١٢) المقصود منه التعالي والتكبر والاستنكاف عن اتباع من تبعه ضعفاءُ القوم وفقراؤهم من غير نظر في صدق نبوته لذا ختم الآية بقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾. المسألة الثانية: المقصود بالناس: أصحاب النبي ﷺ. (١٣) المسألة الثالثة: المخاطب في هذه الآية اليهود أو المنافقون. (١٤) المسألة الرابعة: لما كان النظر دالاً على صدق النبوة، وكان اتباع النبي ﷺ عين العقل والحكمة، ولم يكن الفقر والضعف سفهًا، جعل الله عز وجل السفه فيمن خالف مقتضى العقل والحكمة فرد عليهم الوصف بالسفه: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ لاستحقاقهم له واتصافهم حقيقةً به دون من آمن

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ الأعراف: ٧٠.هذه الآية الكريمة في نبي الله هود عليه السلام مع قومه وفيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام هنا إنكاري المقصود منه الاستبعاد والتحدي؛ استبعاد أن الله يريد إفراده بالعبادة، ورتبوا عليه التحدي بالإتيان بالعذاب، وذكر بعض المفسرين أنه مراد به الاستهزاء. (١٥)

المسألة الثانية: استدلالهم على صحة دعواهم بمجرد الاستبعاد، والعناد والتحدي، والتقليد لفعل الآباء وهذا في الحقيقة مما لا يصح الاحتجاج به على ما قامت الأدلة على صحته من وحدانية الله واستحقاقه للعبادة وحده، وقد ذكرهم بذلك هود حيث قال: ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، فالمنعم واحد وهو الله عز وجل؛ وغيره مما يُعبد مجرد أسماء لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًا فضلاً عن أن تملكه لغيرها، لذا شنّع عليهم وألزمهم بفساد حجتهم، وقابل عنادهم بالوعيد بالعذاب الذي لا مناص منه: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ الأعراف: ٧١.(١٦)

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ يونس: ٤٨.

وردت هذه الآية سبع مرات في كتاب الله (١٧)، وفيها مسائل:



المسألة الأولى: الاستفهام هنا للاستبعاد والاستهزاء. (١٨)

المسألة الثانية: الوعد المقصود إما عذاب الآخرة أو عذاب الدنيا بحسب السياق.

المسألة الثالثة: رد عليهم القرآن بأوجه:

الوجه الأول: الطلب من الرسول الكريم ﷺ تفويض علم هذا الأمر لله، فإنَّ هذا مما لا يتاح معرفته لأحد إلا بمشيئة الله ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ الملك: ٢٦.

الوجه الثاني: إظهار عجزه عن معرفة الغيب وعن عدم امتلاك القدرة التامة على النفع والضر: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ يونس: ٤٩.

الوجه الثالث: تأكيد وقوعه في المستقبل تأكيدًا يقينيًا لا يقبل الشك، وأنه سيقع في موعده المحدد من غير تأخير ولا تقديم كما في الآية السابقة.

الوجه الرابع: التذكير بحال الأمم السابقة التي سارت في نحو هذا الطريق وما أصابهم بسببه، وأنه لم ينفعهم إيمانهم لما جاءهم العذاب: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ الأنبياء: ٤١.

الوجه الخامس: التعجب من حالهم كيف يستعجلون الهلاك، وما فائدة هذا الاستعجال فإن العقل يقضي بتوخي الحذر كما قال مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ غافر: ٢٨.

الوجه السادس: التهديد بقرب وقوع العذاب: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ النمل: ٧٢ ردف: اقترب.[19]

الوجه السابع: التأكيد على عنصر المفاجأة في العذاب: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ الأنبياء: ٤٠.

المسألة الرابعة: مثل هذه الآيات السبع قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ هود: ٨.

فقولهم: ﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ استفهام قصد منه التكذيب والاستهزاء بدلالة آخر الآية. (٢٠)

الآية الرابعة: قال تعالى ﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ **هود: ٦٢**.فيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام هنا للإنكار والتوبيخ. (٢١)

المسألة الثانية: التمهيدُ بالنداء وذكر الرجاء في صالح عليه السلام قبل إنكارهم عليه دعوته لتوحيد الله محاولةٌ منهم لاستمالته وصرفه عن دعوته.

المسألة الثالثة: الرد عليهم من نبي الله صالح عليه الصلاة والسلام جاء هادئًا حاسمًا من أوجه:

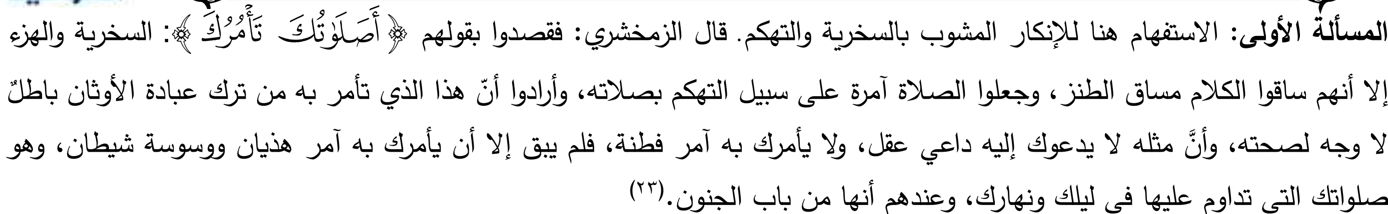
الوجه الأول: نداؤه لهم بقوله (يا قوم) وفيه تلطف بهم ومراجعَة لطيفةٌ وَاستِنزالٌ حسنٌ واستدعاءٌ رقيقٌ. (٢٢)

الوجه الثاني: بيّن لهم أنه على بينةٍ من ربّه أي: حجةٍ ظاهرةٍ ونبوةٍ واضحةٍ، وهي الرحمة التي أتاه الله إياها فأيُ وجهٍ عقلي يسوغ مخالفته أمر الله لا سيما أنَ المخالفة تقتضي وقوعه في الهلاك.

الوجه الثالث: أنَّ مخالفة أمر الله قضيةٌ خاسرةٌ واتباعُ هوى المشركين مزيدٌ من الخسارة فلا مجال للقبول بها.

الآية الخامسة: قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ هود: ٨٧ .فيها مسائل:





المسألة الأولى: الاستفهام هنا للإنكار المشوب بالسخرية والتهكم. قال الزمخشري: فقصدوا بقولهم ﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ ﴾: السخرية والهزء إلا أنهم ساقوا الكلام مساق الطنز، وجعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته، وأرادوا أنّ هذا الذي تأمر به من ترك عبادة الأوثان باطلٌ لا وجه لصحته، وأنَّ مثله لا يدعوك إليه داعي عقل، ولا يأمرك به آمر فطنة، فلم يبق إلا أن يأمرك به آمر هذيان ووسوسة شيطان، وهو صلواتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك، وعندهم أنها من باب الجنون.[٢٣]

المسألة الثانية: في المقصود بالصلاة في الآية وجهان:

الوجه الأول: أنهم عبروا بها عن الدين لأن الصلاة أظهر شعائره فيكون المعنى: أدينك يأمرك.

الوجه الثاني: أنَّ المراد به حقيقة الصلاة، وكان شعيب كثير الصلاة وكانوا إذا رأوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا كما ورد عنابن عباس رضي الله عنه فيكون مقصودهم السخرية والاستهزاء به وبصلاته وبدعوته. [٢٤] وكلا الوجهين قوي محتمل إلا أن الثاني أقرب لأمور :**أحدها:** دلالة الاستفهام على السخرية واضحة بدلالة أن بقية الآية كلها في السخرية من شعيب، وقد جاء عن ابن عباس ما يؤكد ذلك عند تفسير قوله: ﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾، قال: لست بحليم ولا رشيد، مما يؤكد أن مساق السخرية من شعيب مستمر من بداية الآية إلى نهايتها، وحمل الصلاة على حقيقتها أظهر في وضوح السخرية في كلامهم من حمله على معنى الدين، فإن نسبتهم ما دعاهم إليه من التوحيد إلى مجرد تلك الحركات لا إلى حقيقة الدين الكلية واضح في السخرية والاستهزاء.

ثانيها: ما ورد عن ابن عباس من كون شعيب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام كان كثير الصلاة وأنهم كانوا يهزؤون به لذلك.

الثالث: أن جعل الصلاة كناية عن الدين فيه بعد عن حقيقة اللفظ لغير داع إلا أن يريدوا السخرية من الدين بالسخرية من أهم شعائره وحينئذ يرجع القول إلى الوجه الثاني الذي رجحناه، والله أعلم.

الآية السادسة: قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴾ الإسراء: ٦١.

هذه الآية بيّنت طريقة المعاندين الجاحدين على لسان زعيم هذه الطريقة إبليس لعنه الله، وفيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام منه لعنه الله إنكاري، وهو ألعن وأسوأ استنكار في التاريخ، فقد هلك به وأهلك، نسأل الله العافية والسلامة.

المسألة الثانية: دافعه في ذلك الكبر والبطر والتعالي، وهذا شأن كل المعاندين من أتباعه إلى يوم القيامة.

المسألة الثالثة: دليله على فعله قياس فاسد من وجوه ليس هذا مجال بسطها، ويكفي منها أنَّ هذا قياس منه في مقابل النص.

المسألة الرابعة: هي أن المعاندين لا يهمهم قوة الحجة وكفاية الأدلة لإثبات ما يذهبون إليه بل يحشرون ما لا يستقيم أن يكون دليلًا ولا يصح أن يكون برهانًا من غير مراعاة لأصول الاستدلال، لأن الدافع لهم مجابهة الحق وليس إرادة الوصول إليه.

المسألة الخامسة: بعد موقف الخبيث أمام ربه جل وعلا دافعًا الحق لا يستغرب من أتباعه المعاندين الوقوف أمام الرسل وأتباعهم لمدافعة الحق بكل سبيل وبأي حجة.

الآية السابعة: قال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾ طه: ٤٩. فيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام هنا للإنكار والتحقير هذا هو الظاهر، والدليل عليه تقدم كفر فرعون وادعاؤه الألوهية فكأنه أراد بالاستفهام التحقير من إله موسى والتقليل من شأنه.

قال ابن كثير: يقول تعالى مخبرًا عنْ فرْعوْن أنّه قال لموسى منكرًا وجود الصّانع الخالق إله كلّ شيء وربّه ومليكه، ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾ أي الذي بعثك وأرسلك من هو؟ فإنّي لا أعرفه وما علمتُ لكم من إله غيري. (٢٥)

المسألة الثانية: أنَّ الجواب على ما لم يُردْ به الاستخبار والاستعلام متوجه إذا كان فيه فائدة حاصلة، فإن سؤال فرعون عن الله لم يكن سؤال مستفهم مستخبر طالب لما لا يعلم بل كان سؤال تحقير وإنكار ولكن موسى أجاب عن السؤال لفائدتين:

الأولى: التأكيد على وحدانية الله تعالى في الربوبية والألوهية – والتي ادعاهما فرعون لعنه الله – فأجاب موسى عليه الصلاة والسلام بصفات الله سبحانه وتعالى ليست لأحد غيره، ولا يسع سامعها إلا التسليم للمتصف بها بالاستحقاق التام للربوبية والألوهية.

الثانية: إظهار نقص فرعون أمام أتباعه، فمن لم يكن متصفًا بالخلق والتدبير فليس بمستحق للعبادة.

المسألة الثالثة: مثل هذه الآية قول الله سبحانه في سورة الشعراء: ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الشعراء: ٢٣.

فإن قيل: (ما) يسأل بها لغير العاقل فكيف سأل بها عن الله تعالى؟ والجواب من وجهين (٢٦):**الوجه الأول:** أن (ما) و(من) يتعاقبان كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾، وقوله: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾.

الوجه الثاني: أنهما مقامان مختلفان فالسؤال بـ(من) في سورة طه كان عن الكيفية وفي الشعراء عن الماهية.

المسألة الرابعة: وهي متعلقة بالآية السابقة في سورة الشعراء وهي أن فرعون لما أراد أن يسأل عما لا جواب له – وهو ماهية الله تبارك وتعالى – جاءه الجواب في غاية الحكمة والوضوح والحجة بأن ذكر الصفات الدالة عليه القاطعة بوجوده، أما هو فليس كمثله شيء فلا تصل له الأذهان ولا تدركه الأبصار ولا العقول سبحانه وتعالى.

الآية الثامنة: قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ طه: **٥١**. هذا استفهام من فرعون في سياق محاورته لموسى امتدادًا للآية السابقة في سورة طه، وفيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام هنا للتعجيز، وقيل للإنكار وغرضه التشتيت، وإيراده له يحتمل أوجهًا:

الوجه الأول: الهروب عن قضية التوحيد التي ألزم نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام فرعون بها في جوابه عن سؤاله: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا﴾، والتشاغل بغيرها عنها كراهية لها.قال الجرجاني: هذا فرار من فرعون إلى ما يتشاغل به عن التوحيد، وهذه سنة المعرضين عن التوحيد إذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوبهم. [٢٧]

الوجه الثانيالخوف من ظهور حجة موسى عليه وانفضاح أمره فيما ادعاه من الربوبية.قال الرازي: إنّ فرعون لما قال: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ فذكر موسى عليه السلام دليلًا ظاهرًا وبرهانًا باهرًا على هذا المطلوب فقال:﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ فخاف فرعون أن يزيد في تقرير تلك الحجة فيظهر للناس صدقه وفساد طريق فرعون فأراد أن يصرفه عن ذلك الكلام وأن يشغله بالحكايات [٢٨]

الوجه الثالث: وهو من رأى ذلك الاستفهام إنكارًا من فرعون على موسى، فأراد فرعون الاحتجاج بفعل الآباء والأجداد على صحة دينه.

قال ابن عاشور: أراد فرعون أن يحاجّ موسى بما حصل للقرون الماضية الذين كانوا على ملة فرعون، أي قرون أهل مصر، أي ما حالهم، أفتزعم أنهم اتفقوا على ضلالة؟! وهذه شنشنة من لا يجد حجةً فيعمد إلى التشغيب بتخييل استبعاد كلام خصمه، وهو في معنى قول فرعون وملَئه في الآية الأخرى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ يونس: ٧٨. [٢٩]

المسألة الثانية: اختلف في مراد فرعون بالسؤال على أقوال منها:

أحدها: أنه سأله عن أخبارها وأحاديثها، ولم يكن له بذلك عِلْم.

الثاني: أنه أراد: لم عُبدت الأصنامُ، ولِم لم يُعبدِ اللهُ إن كان الحقُّ ما وصفتَ؟!

والثالث: أن مراده: ما لها لا تُبعث ولا تُحاسَب ولا تجازى؟!(٣٠)

المسألة الثالثة: أجاب موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ طه: ٥٢ – ٥٣. وهي إجابة سديدة تظهر حكمتها من أوجه:

الوجه الأول: قطع الطريق على فرعون فيما هرب منه من إلزامه بالتوحيد في السؤال السابق لهذا السؤال، وتأكيد ما أراد موسى إثباته من التوحيد وذلك بتفويض أمر القرون الماضية وعلمها إلى الله سبحانه وهذا غاية التوحيد.

الوجه الثاني: الإعراض عن ذكر التفاصيل والخروج من القضية الأساسية وهي التوحيد إلى قضايا جانبية لعلم موسى عليه الصلاة والسلام أنَّ ذلك غاية فرعون من سؤاله.

الوجه الثالث: استطراده عليه الصلاة والسلام في ذكر الحجج الباهرة والآيات الساطعة على التوحيد معرضًا عما أراد فرعون صرفه عنه: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ طه: ٥٣.

الآية التاسعة: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ الفرقان: ٦٠.

فيها مسائل:

المسألة الأولى: في هذه الآية استفهامان يرتبطان ببعضهما؛ الأول: قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ والثاني: ﴿أَنَسْجُدُ﴾، وسنبين المقصود منهما من كلام المفسرين وما يترجح في المسائل التالية.

المسألة الثانية: الاستفهام في قولهم: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ للإنكار والتعجب والاستغراب (٣١)، هذا حاصل ما ذكره أهل التفسير.قال القرطبي: على جهة الإنكار والتعجب، أي ما نعرف الرّحمن إلا رحمان اليمامة، يعْنون مسيلمة الكذاب.والذي يظهر والعلم عند الله أن الاستفهام للتعالي والتكبر والاستنكاف عن السجود لله والتحقير لجناب ربّ العالمين تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا وما حملهم على ذلك إلا الكبر والجهل، والدليل على ذلك من أوجه:

الوجه الأول: أنَّ العرب كانت تعرف اسم الرحمن ولا تجهله.

الوجه الثاني: أنَّ مشكلة المشركين مع أنبيائهم في أصل التوحيد وليست في مسمى الرب، بمعنى أن الرسول عليه الصلاة والسلام لو دعاهم للسجود لله باسمه الذي لا ينكرون لكان جوابهم نفس الجواب: ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾، لأن أصل الكبر والكفر ثابت لهم مانع من امتثالهم في كل الأحوال. قال ابن جرير: وقد زعم بعضُ أهل الغَباء أنّ العرب كانت لا تعرف "الرحمن"، ولم يكن ذلك في لغتها ولذلك قال المشركون للنبي ﷺ: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ الفرقان: ٦٠، إنكارًا منهم لهذا الاسم، كأنه كان محالًا عنده أن ينكر أهل الشرك ما كانوا عالمين بصحته أولا، وكأنه لم يتْلُ من كتاب الله قول الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾– يعني محمداً – ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ وهم مع ذلك به مكذِّبون، ولنبوّته جاحدون! فيَعلمَ بذلك أنهم قد كانوا يدافعون حقيقةَ ما قد ثبت عندهم صحتُه، واستحكمتْ لديهم معرفتُه. وقد أنشد لبعض الجاهلية الجهلاء:أَلا ضربَتْ تلكَ الفتاةُ هَجِينَهَا... أَلا قَضَبَ الرحْمَنُ رَبِّي يَمِينَهَا

وقال سلامة بن جَندلٍ السَّعْدي: عَجِلْتُمْ عَلَيْنَا عَجْلَتَيْنَا عَلَيْكُمُ... وَمَا يَشَإِ الرحْمَنُ يَعْقِدْ وَيُطْلِقِ(٣٢)

الوجه الثالث: قولهم: ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ دلّ على أن امتناعهم عن السجود لأنه أمرهم بذلك لا لأن اسمه الرحمن، وهذا هو شأنهم من أول أمر الدعوة؛ الجحود بألوهية الله وتوحيده والاستكبار عن الانقياد له.قال ابن عطية: وقال قوم: إن العرب كانت لا تعرف لفظة الرحمن، ولا كانت في لغتها، واستدلوا على ذلك بقول العرب: «وما الرحمن؟ أنسجد لما تأمرنا» وهذا القول ضعيف، وإنما وقفت العرب على تعيين الإله الذي أمروا بالسجود له، لا على نفس اللفظة. (٣٣)

الوجه الرابع: أنه لو صح أنهم قالوا: لا نعرف إلا رحمن اليمامة يقصدون مسيلمة الكذاب (٣٤) لما كانت تلك حجة كافية في ترك السجود والامتثال إذا صحت عندهم نبوة النبي ﷺ، ولما لم تصح النبوة عندهم أصلًا لم يكونوا بحاجة لدليل على صحة امتناعهم عن السجود، ويكون المقصود حينئذ التشغيب على رسول الله ﷺ والمغالطة.وقد جاء عن ابن عباس أيضا ما يخالف قول من قال إن مسيلمة كان يعرف برحمن اليمامة فقد أخرج أبو حاتم عنه قال: ليس أحدٌ يُسمّى الرّحمن غيره. [٣٥] قال أبو حيان: والذي يظهر أنهم لما قيل لهم اسجدوا للرحمن – فذكرت الصفة المقتضية للمبالغة في الرحمة والكلمة عربية لا ينكر وضعها – أظهروا التجاهل بهذه الصفة التي لله مغالطةً منهم ووقاحةً فقالوا: وما الرحمن وهم عارفون به وبصفته الرحمانية، وهذا كما قال فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حين قال له موسى: ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على سبيل المناكرة وهو عالم برب العالمين. كما قال موسى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ فكذلك كفار قريش استفهموا عن الرحمن استفهام من يجهله وهم عالمون به. [٣٦]

الوجه الخامس: يدل على ما ذكرنا أن الله تعالى أمرهم في غير هذا الموضع بالتوحيد والصلاة والركوع وغيرها من المأمورات فلم يمتثلوا نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ﴾ المرسلات: ٤٨، وبين سبب كفرهم وأنه الكبر والاستنكاف عن اتباع الرسول: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ الصافات: ٣٥ – ٣٦، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ الأنبياء: ٣٦

الآية العاشرة: قال تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ ص: ٥. فيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام هنا للإنكار والتعجب.

المسألة الثانية: سبب نزول هذه الآيات ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس قال: مرض أبو طالب، فأتاه رسول الله ﷺ يعوده، وهم حوله جلوس، وعند رأسه مكان فارغ، فقام أبو جهل فجلس فيه، فقال أبو طالب: يا ابن أخي ما لقومك يشكونك؟ قال: يا عم أريدهم على كلمة تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية قال: ما هي؟ قال: لا إله إلا الله، فقاموا وهم يقولون: ﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾، ونزل القرآن: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ ذي الشرف ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ﴾ حتى قوله: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا﴾. [٣٧]

المسألة الثالثة: بينت الآيات أن سبب إنكارهم أمور:

الأول: أنهم في عزة وشقاق؛ والعزة: الحمية وهي هنا بالباطل والإثم فهي تكبر وبطر كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ البقرة: ٢٠٦، والشقاق: الخلاف لله والرسول والمعاندة والمفارقة. (٣٨)

الثاني: أن النبي ﷺ من جنسهم ومخلوق مثلهم فكيف يصح أن يرسل إليهم: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾ ص: ٤.

الثالث: أنهم لم يسمعوا مثل ذلك فيمن كان قبلهم: ﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾ ص: ٧، والمقصود بالملة الآخرة: النصرانية وهم يقولون بتعدد الآلهة أو دين آبائهم المشركين فهذا كقولهم: ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ﴾ الزخرف: ٢٢ .وهذه الأسباب ساقطة متهافتة لما يلي:

أما السبب الأول: فالعزة بالإثم مانعة من قبول الحق والانقياد له بل تعمي الإنسان عن رؤية الحق مع وضوحه، فإذا لم يتخلص الإنسان منها فلن يرى الهدى والنور ولن يرى إلا ما يوافق هواه، وهنا لا ينفع مع مثله إلا العذاب.

أما السبب الثاني: فبطلانه معلوم بالعقل وقد جاءت الآيات بإبطال مثل هذه الحجة مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾ الأنعام: ٨ – ٩، وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا﴾ الإسراء: ٩٥ فبين الله تعالى أنه لو أرسل ملكًا لكان في صورة بشرية تحتمله عقولهم فإن الناس لا طاقة لهم على رؤية الملك في صورته وحينئذ سيقع عليهم اللبس. [٣٩] ثم إن عادة الله في رسله أن يكونوا من البشر لئلا يحتج المبطلون بكون الرسل من غير جنس البشر وأنهم عنهم مختلفون فتكون لهم حجة على الله، بل جعل الله ذلك من تمام منته على المؤمنين: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ آل عمران: ١٦٤.

أما السبب الثالث: فهو إعراض عن الحق واتباع للباطل بتقليد أعمى مجرد عن البراهين والأدلة.

المسألة الرابعة: عالج القرآن هذه القضية من خلال أساليب متنوعة منها:

الأسلوب الأول: التأكيد على أن القرآن فيه من الذكر ما يروي غلة العقل بالأدلة والبراهين ويشفي علة الصدر من الشكوك والشبهات: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ ص: ١.

الأسلوب الثاني: التأكيد على أن الكافرين ليس معهم حجة ولا دليل بل هم في عزة وشقاق: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ﴾ ص: ٢.

الأسلوب الثالث: الوعيد والتخويف والإنذار وهو أسلوب قرآني متكرر في خطاب المعاندين: ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ﴾ ص: ٣ ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ۝١٢ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ۝١٣ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ ص: ١٢ – ١٤.

الأسلوب الرابع: فضح ما هم فيه من التردد والشك المبني على الأوهام والهوى: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ ص: ٨.

الأسلوب الخامس: سرد أدلة الربوبية الدالة على وحدانيته جل وعلا وللتحدي وإظهار عجزهم: ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ۝٩ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ۝١٠ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ ص: ٩ – ١١.

الأسلوب السادس: الأمر بالصبر: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ ص: ١٧.

الآية الحادية عشرة: قال تعالى: ﴿**وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ**﴾ الزخرف: ٥٨.فيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام للتقرير والمراد به التشغيب والمخاصمة بالباطل والجدل العقيم.

المسألة الثانية: نزلت هذه الآيات في مجادلة عبد الله بن الزبعرى لرسول الله ﷺ فقد أخرج الطحاوي في مشكل الآثار عن ابن عباس، قال: آية في كتاب الله لا يسألني الناس عنها ولا أدري أعرفوها فلا يسألوني عنها أم جهلوها فلا يسألوني عنها؟ قيل: وما هي؟ قال: آية لما نزلت: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ الأنبياء: ٩٨، شق ذلك على أهل مكة وقالوا: شتم محمد آلهتنا فقام ابن الزبعرى فقال: ما شأنكم؟ قالوا: شتم محمد آلهتنا قال: وما قال؟ قالوا: قال: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ ، قال: ادعوه لي، فدعي محمد ﷺ فقال ابن الزبعرى: يا محمد هذا شيء لآلهتنا خاصة أم لكل من عبد من دون الله؟ قال: بل لكل من عبد من دون الله عز وجل قال: فقال: خصمناه ورب هذه البنية، يا محمد ألست تزعم أن عيسى عبد صالح وعزيرا عبد صالح والملائكة عباد صالحون؟ قال: بلى، قال: فهذه النصارى يعبدون عيسى وهذه اليهود تعبد عزيرا وهذه بنو مليح تعبد الملائكة، قال: فضج أهل مكة فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ عيسى وعزير والملائكة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ ، قال: ونزلت: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ﴾ الزخرف: ٥٧، وهو الصحيح.(٤٠)

المسألة الثالثة: وجه استدلالهم الباطل كما هو واضح من سبب النزول عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ الأنبياء: ٩٨، فجعلوا عيسى وعزير والملائكة عليهم السلام داخلين في عموم الآية فإذا كان هؤلاء في النار فليست أصنامهم التي يعبدون خيرًا من الملائكة والرسل.قال الزمخشري: أي ما ضربوا هذا المثل لك ﴿إِلَّا جَدَلَۢاۚ﴾ إلا لأجل الجدل والغلبة في القول، لا لطلب الميز بين الحق والباطل بل هم قوم خصمون لد شداد الخصومة دأبهم اللجاج، كقوله تعالى: ﴿قَوۡمٗا لُّدّٗا﴾، وذلك أن قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، ما أريد به إلا الأصنام، وكذلك قوله عليه السلام: هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم. إنما قصد به الأصنام، ومحال أن يقصد به الأنبياء والملائكة، إلا أن ابن الزبعرى بخبثه وخداعه وخبث دخلته، لما رأى كلام الله ورسوله محتملًا لفظه وجه العموم – مع علمه بأن المراد به أصنامهم لا غير – وجد للحيلة مساغًا، فصرف معناه إلى الشمول والإحاطة بكل معبود غير الله، على طريقة المحك والجدال وحب المغالبة والمكابرة، وتوقح في ذلك.(٤١) واستدلالهم باطل من وجهين:

الوجه الأول: أن هذا استدلال بعموم قامت الأدلة على تخصيصه، والمخصص هنا أدلة كثيرة نقلية وعقلية منها:

– أن إدخال من لم يرض بعبادة غيره له في النار ظلم؛ والله منزه عن الظلم، فلا يؤاخذ إلا من رضي بذلك وأحبه، ولذلك روي عن رسول الله ﷺ أنه قال لما ذكر له ذلك: نعم كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته. (٤٢) فأخرج ﷺ من لم يحب من عموم الآية.

– أن القرآن جاء صريحًا في خروج هؤلاء الكرام من العموم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ الأنبياء: ١٠١، فلا وجه للاستدلال بعد ذلك.

– التعبير في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ جاء بـ(ما) التي لغير العاقل فلا يدخل فيها العاقل. ذكره الزمخشري. (٤٣)

الوجه الثاني: أننا لو افترضنا جدلًا أن استدلالهم صحيح لكان الأولى بهم أن ينقادوا لأمر الله حتى لا يدخلوا النار لا أن يصروا على ما يدخلهم إليها من الكفر والشرك.

ولكن لما كان استدلالهم خصومةً وجدلًا مجردًا عن الأدلة لم يكن لمدلول الدليل عندهم معنى فالهدف والغرض هو اللجاج والجدل: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾والخصم: اللد وهو شديد الخصومة والجدال بالباطل. (٤٤)

ومثل هذا قولهم ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الأنفال: ٣٢.

المطلب الثاني: الاستفهام في باب النبوة:

باب النبوة مما كابر فيه المعاندون وخاصموا وجادلوا وهو أعظم باب وقع فيه الخلاف بين الرسل والمعاندين؛ ذلك أن المعاندين لم يقروا بالرسالة والنبوة لأنبيائهم مما نتج عنه الكفر والعصيان.وسنبحث هنا الاستفهامات التي جاءت في هذا الباب بمشيئة الله وتوفيقه.

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٤٧ **.وفيها مسائل:**

المسألة الأولى: الاستفهام في قولهم: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ للإنكار.

المسألة الثانية: استدلوا على رفضهم أمر نبيهم بتولي طالوت الملك بأدلة:

الدليل الأول: أنهم أحق بالملك منه.

الدليل الثاني: أنه لم يؤت سعة من المال.وهذه استدلالات باطلة لما يلي:**أولًا:** قد قامت الأدلة على نبوة نبيهم فهم مؤمنون به كما هو واضح من سياق الآيات، والنبي معصوم واجب طاعته فلا وجه للاعتراض على أمر الله بأي شكل من أشكال الاعتراض، والاعتراض هنا من جنس اعتراض إبليس:﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ ص: ٧٦.

ثانيًا: أن ما اعترضوا به لا يصح فكونهم حكموا بأنهم خير منه فهذا تزكية للنفس منهم، وهذا مذموم شرعًا، وافتئات على الله العالم بمن هو أتقى وأصلح وأخير وقد قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ النجم: ٣٢. وأما كونه فقيرًا فلا يصلح للاحتجاج أيضًا لأنه معارضة لأمر الله من جهة، ومن جهة أخرى فلأن له صفات ليست موجودة فيهم وهي أن الله زاده بسطة في العلم والجسم.

ثالثًا: الله يؤتي ملكه من يشاء وليس للعبد سوى الإذعان والانقياد.

المسألة الثالثة: أن المؤمن يدخل في عداد المعاندين إذا لم يمتثل أمر الله عز وجل ويذعن له، كما وقع من هؤلاء فإن ظاهر السياق يدل على أنهم مؤمنون لكن اعتراضهم اعتراض معاند لأمر الله وهذا شأن بني اسرائيل كما حكى الله عنهم في أكثر من موضع من كتابه.

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾

الأعراف: ٧٥ – ٧٦.هذه الآية عبارة عن محادثة تمت بين الملأ المستكبرين المعاندين من ثمود قوم صالح عليه السلام وبين المؤمنين منهم فتبين مدى استكبار الملأ عن قبول الحق وردهم له، وفيها مسائل:**المسألة الأولى:** تعددت الأقوال في نوع الاستفهام هنا على ثلاثة أقوال:

القول الأول: الاستفهام هنا للتهكم والسخرية (٤٥)، ودافعه الكبر والبطر.**القول الثاني:** استفهام إنكار، قاله ابن الجوزي. (٤٦) **القول الثالث:** أن الاستفسار على بابه؛ وأنهم طلبوا من المستضعفين الاستخبار عن الدليل الذي جعلهم يصدقونه. وذهب إليه بعض

المعاصرين.قال محمد رشيد رضا: ولا مانع من جعله استفهامًا حقيقيًا إذ سألوهم عن العلم بأنه مرسل لارتيابهم في اتباعهم إياه عن علم برهاني، وتجويزهم أن يكون عن استحسان ما وتفضيل له عليهم. واختيار لرياسته على رياستهم. (٤٧) والذي يظهر – والعلم عند الله – هو القول الأول، والقول الثاني قريب محتمل لأسباب:

الأول: أنه الظاهر من حال الفريقين؛ فريق مستكبر وفريق مستضعف ويمتنع في العادة أن يطلب المستكبر المتعالي من المستضعف دلالة إرشاد.

الثاني: السياق يدل على القول الأول فإضافةً إلى السبب الأول السابق المنطوق في السياق جاءت إجابات الفريقين مغايرة لما قد يفهم من كون الاستفهام حقيقيًا فالمستضعفين أجابوا بكل ثبات ويقين أنهم مؤمنون ومباشرة رد المستكبرون بأنهم كفروا بما آمن به المستضعفون، ولو كان الاستفهام حقيقيًا لطلب العلم عن البراهين لجاء الجواب مطابقًا للسؤال ولذكر المستضعفون أدلتهم على صحة اتباعهم لصالح، وهذا لم يحصل.

الثالث: أن دلائل صدق النبي صالح عليه الصلاة السلام لا تخفى على الملأ المستكبرين فهم لم يكونوا بحاجة لمزيد أدلة بل دافعهم الكبر، ولذلك عتوا واستكبروا وعقروا الناقة التي كانت آية من الله لهم، قال الله تعالى: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ الأعراف: ٧٧.

المسألة الثانية: يتوجه هنا سؤال: إذا كان الاستفهام للسخرية والتهكم فلم حصلت الإجابة من أتباع صالح عليه الصلاة والسلام؟ ومثل هذا لا يحتاج إلى جواب.والجواب عن هذا: أن جوابهم جواب الواثق من إيمانه المدافع عن معتقده أمام المستهزئين، ولذلك سألوهم عن صحة الرسالة وأجاب المؤمنون بإيمانهم بما أرسل به صالح وهو جواب زائد عن محل السؤال، أما الإيمان بصحة الرسالة فالمستكبرون يعلمون صحتها ولا ينكرونها خاصة بعد إقامة الحجة عليهم وإرسال الآيات، فالفرق بين الفريقين أن المؤمنين آمنوا بصحة الرسالة واتبعوا ما أرسل به الرسول والكافرون جحدوا الرسالة وما أرسل به.قال الزمخشري: فان قلت: كيف صح قولهم إنا بما أرسل به مؤمنون جوابا عنه؟ قلت: سألوهم عن العلم بإرساله، فجعلوا إرساله أمرًا معلومًا مكشوفًا مسلمًا لا يدخله ريب، كأنهم قالوا: العلم بإرساله وبما أرسل به ما لا كلام فيه ولا شبهة يدخله لوضوحه وإنارته، وإنما الكلام في وجوب الإيمان به، فنخبركم أنا به مؤمنون، ولذلك كان جواب الكفرة: ﴿إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ فوضعوا ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ موضع ﴿أُرۡسِلَ بِهِۦ﴾ ردا لما جعله المؤمنون معلومًا وأخذوه مسلمًا. (٤٨)

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ﴾ الأعراف: ١٢٧ .فيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام هنا للإنكار والمقصود به إغراء فرعون بقتل موسى وقومه، وإنكارهم على فرعون ليس لذات الإنكار بل مزيد من العبودية له والإقرار بربوبيته الكاذبة وتقديم المشورة في قتل المؤمنين تقربًا له.

قال ابن عاشور: والاستفهام في قوله: أتذر موسى مستعمل في الإغراء بإهلاك موسى وقومه والإنكار على الإبطاء بإتلافهم. (٤٩)

المسألة الثانية: أن بطانة السوء تزين الباطل للطغاة الظلمة بكل أسلوب، وتردد ما يحب الطاغية أن يسمع فيزداد عمى إلى عماه وغيًا إلى غيه، انظر كيف جعلوا سيد المصلحين ورسول رب العالمين مفسدًا في الأرض، وكيف زينوا لفرعون قتل موسى ومن معه بدعوى تركهم له ولآلهته. (٥٠)

الآية الرابعة: قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ﴾ يونس: ٧٨.هذه الآية في كلام قوم فرعون لنبيهم موسى عليه الصلاة والسلام وفيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام هنا إنكاري.

المسألة الثانية: ذكروا سببين لكفرهم وإنكارهم على موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام هما:

الأول: أنه أراد صرفهم عما كان يعبد آباؤهم.

الثاني: أنه أراد أن يكون له الملك والكبرياء في الدنيا.

وهذا من أبطل الباطل وأقبح الاحتجاج ومن سخافات العقول.فالحجة الأولى باطلة من وجوه:

أولًا: عبادة غير الله مخالفة لحجج الفطرة والعقل والشرع، ولم يقم فعل آبائهم على حجة من تلك الحجج حتى يصح التمسك بمذهبهم.

ثانيًا: أن النبي جاء بإبطال فعلهم واتباعهم لآبائهم فيما خالفوا أمر الله فيه وتجشموا لذلك الصعاب وبذله هو وأتباعه النفس والمال في سبيل إنقاذ الناس من الشرك فلو كان سائغًا اتباع نهج الآباء المخالف لأمر الله لما تجشمت الصعاب وبذلت الأنفس، فهم ما فعلوا ذلك إلا لإنقاذ الناس مما يهلكهم وينزل غضب الله عليهم. ومثل قولهم هذا قول قوم عاد لرسولهم هود: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ الأحقاف: ٢٢، فالاستفهام فيها للإنكار لذات السبب الذي ذكره الملأ من قوم فرعون.

وأما الحجة الثانية فباطلة عقلًا وشرعًا، أما عقلًا فإن الرسل لم ترسل للعلو في الأرض والتكبر بل لإقامة العدل بين الناس، ولم يكن الرسل يطلبوا على دعوتهم أجرًا ولا مالًا ولا جاهًا حتى يقال إنهم طالبوا ملك، وأما شرعًا فإن الكبر (٥١) محرم على البشر والرسل هم من جاء بهذا التحريم.قال الشوكاني: وفي هذا ما يدل على أنهم انقطعوا عن الدليل وعجزوا عن إبراز الحجة، ولم يجدوا ما يجيبون به عما أورده عليهم، بل لجئوا إلى ما يلجأ إليه أهل الجهل والبلادة، وهو الاحتجاج بما كان عليه آباؤهم من الكفر، وضموا إلى ذلك ما هو غرضهم، وغاية مطلبهم، وسبب مكابرتهم للحق، وجحودهم للآيات البينة، وهو الرياسة الدنيوية التي خافوا عليها وظنوا أنها ستذهب عنهم إن آمنوا، وكم بقي على الباطل، وهو يعلم أنه باطل بهذه الذريعة من طوائف هذا العالم في سابق الدهر ولا حقه، فمنهم من حبسه ذلك عن الخروج من الكفر، ومنهم من حبسه عن الخروج إلى السنة من البدعة، وإلى الرواية الصحيحة من الرأي البحت.(٥٢)

المسألة الثالثة: مثل هذه الآية قوله تعالى في سورة طه: ﴿ قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ طه: ٥٧.

زعموا أن غرض موسى عليه الصلاة والسلام إخراجهم من أرضهم والاستيلاء على الملك والتجبر عليهم فالاستفهام هنا للإنكار عليه والتحجج به في ترك الإيمان بما جاء به موسى من الحق المؤيد بالبينات والحجج، وذكر الإخراج من الأرض إشعالًا للحمية في قلوب أتباعه لأنه صعب على النفوس.قال الشوكاني: وإنما ذكر الملعون الإخراج من الارض لتنفير قومه عن إجابة موسى، فإنه إذا وقع في أذهانهم وتقرر في أفهامهم أن عاقبة إجابتهم لموسى الخروج من ديارهم وأوطانهم كانوا غير قابلين لكلامه، ولا ناظرين في معجزاته، ولا ملتفتين إلى ما يدعو إليه من الخير. (٥٣)

الآية الخامسة: قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾ الإسراء: **٩٤.**

فيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام للإنكار.

المسألة الثانية: استدلوا ببشرية الرسول على عدم صحة الرسالة، وهذا استدلال باطل قدمنا الحديث عنه في المطلب السابق عند المسألة الثالثة من الآية العاشرة عند قوله تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴾ ص: ٤.

الآية السادسة: قال تعالى: ﴿لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴾ الأنبياء: **٣.**

فيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام للإنكار والتعجب؛ تعجبوا أن يكون الله سبحانه قد بعث رسولًا، وأن الإيمان به اتباع للسحر والاستفهام في: ﴿ أَفَتَأۡتُونَ ﴾ للإنكار والتوبيخ. (٥٤)

المسألة الثانية: أنهم أسروا هذا القول فأعلمه الله، قال بعد هذه الآية: ﴿قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ الأنبياء: ٤. قال الشوكاني: فأطلع الله نبيه ﷺ على ما تناجوا به، وأمره الله سبحانه أن يجيب عليهم فقال: قل ربي يعلم القول في السماء والأرض أي: لا يخفى عليه شيء مما يقال فيهما، وفي مصاحف أهل الكوفة (قال ربي) أي: قال محمد: ربي يعلم القول، فهو عالم بما تناجيتم به. (٥٥)

المسألة الثالثة: رد القرآن هذه الشبهة حول النبوة بأمور:

الأول: أن جميع من أرسل من الرسل من قبلهم هم من الرجال وأمرهم بسؤال أهل الكتاب إن كانوا لا يعلمون قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ الأنبياء: ٧. روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: لما بعث الله محمدًا رسولًا أنكرت العرب ذلك، ومن أنكر منهم قالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد فأنزل الله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ﴾ وقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ يعني فاسألوا أهل الذكر والكتب الماضية: أبشرًا كانت الرسل الذين أتتهم أم ملائكة؟ فإن كانوا ملائكة أتتكم وإن كانوا بشرًا فلا تنكروا أن يكون رسولًا. ثم قال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾ أي: ليسوا من أهل السماء كما قلتم. (٥٦)

الثاني: أثبت لهم البشرية وأنه ما جعلهم أجسادًا لا تأكل الطعام بل هم كبقية البشر يأكلون ويشربون وتنقضي أعمارهم ويموتون قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ﴾ الأنبياء: ٨.

قال القرطبي: الضمير في: ﴿جَعَلۡنَٰهُمۡ﴾ للأنبياء، أي لم نجعل الرسل قبلك خارجين عن طباع البشر لا يحتاجون إلى طعام وشراب ﴿وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ﴾ يريد لا يموتون وهذا جواب لقولهم: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ وقولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾. (٥٧)

الثالث: إنما تميز النبي عن غيره باصطفاء الله له ومنته عليه: ﴿قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ إبراهيم: ١١.

الرابع: أن الله تعالى صدقهم وعده فأنجاهم وأهلك المسرفين وفي ذلك آية بينة وعبرة بليغة قال تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝٩ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ الأنبياء: ٩ – ١٠.

الآية السابعة: قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ الفرقان: ٧.

وفيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام للإنكار والتعجب والاستهزاء أنكروا أن يكون الرسول بشرًا كبقية البشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ويدل على استهزائهم تسميته بالرسول مع أنهم ينكرون رسالته.قال الشوكاني: وفي الإشارة هنا تصغير لشأن المشار إليه وهو رسول الله ﷺ، وسموه رسولًا استهزاءً وسخرية. (٥٨)

المسألة الثانية: أن المعاندين مضطربون في دعواهم فتارة ينكرون بشريته وتارة يطلبون أن يكون معه ملك أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها ونحو ذلك من الطلبات الكثيرة التي ذكرت في القرآن، ولكن كل ذلك منقوض بما سبق ذكره في الآيات السابقة ونقول هنا تأكيدًا لهذا النقض أن تلك الطلبات وذلك الإنكار مرده التنعت وإلا ما قام من الأدلة على صدقه أكبر من أن يكون له جنة أو يلقى إليه كنز، ولو جاء بما قالوا ما ازدادوا إلا تكذيبًا كما فعل قوم صالح وغيرهم.

المسألة الثالثة: رد الله عز وجل عليهم إنكار بشرية الرسول بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا﴾ الفرقان: ٢٠.

فبين أنه جعل إرسال الرسل فتنة وابتلاء لهم ولأقوامهم، ومصداق هذا قول رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك.(٥٩)

الآية الثامنة: قال تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ۝٢٤ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ﴾ القمر: ٢٤ – ٢٥ .فيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام للإنكار والتعالي، والاستفهام في قولهم: ﴿أَءُلۡقِيَ﴾ للإنكار والجحود والاستبعاد.

المسألة الثانية: استنكروا أن يتبعوا رجلًا واحدًا وهم جماعة كثيرون، وجعلوا كثرتهم دليل على صحة دينهم، وجعلوا اتباعه حينئذ غاية الضلال.قال الزمخشري: فإن قلت: كيف أنكروا أن يتبعوا بشرًا منهم واحدًا؟ قلت: قالوا: ﴿أَبَشَرًا﴾ إنكارًا لأن يتبعوا مثلهم في الجنسية، وطلبوا أن يكون من جنس أعلى من جنس البشر وهم الملائكة، وقالوا: ﴿مِّنَّا﴾ لأنه إذا كان منهم كانت المماثلة أقوى، وقالوا: ﴿وَٰحِدًا﴾ إنكارًا لأن تتبع الأمة رجلًا واحدًا. أو أرادوا واحدًا من أفنائهم ليس بأشرفهم وأفضلهم، ويدل عليه قولهم: ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أي: أأنزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوة، ﴿أَشِرٌ﴾: بطر متكبر حمله بطره وشطارته وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك. (٦٠)والجواب عن دعواهم واستنكارهم من وجوه: أما إنكارهم كونه بشرًا فقد قدمنا الكلام فيه وقدمنا رد القرآن عليهم فيما لو أرسل لهم ملكًا.أما كونه واحدًا فهذا أمر لا علاقة له بصحة الرسالة من عدمها فلو قامت الأدلة على صدقه لم يكن لطلب تعدد الرسل وجه وقد قامت الأدلة على صدق الأنبياء وأيدوا بالآيات البينات فانقطع دليلهم وسقط احتجاجهم.

ثم إن الله قد أخبر عن أمم أرسل إليهم أكثر من رسول فما زادهم إلا تكذيبًا، فأرسل موسى وهارون فلم يؤمن فرعون وأرسل ثلاثة رسل إلى القرية التي ذكرها في سورة يس فلم يؤمنوا، قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٣ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۝١٤ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ۝١٥ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ۝١٦ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝١٧ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يس: ١٣ – ١٨. أما كونه منهم فذلك لحكمة أرادها الله قد بينها في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ إبراهيم: ٤ .وأما كونه ألقي عليه الذكر فهذا تابع لاصطفاء الله ومنته وليس لاختيارهم، قال تعالى ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝٣١ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ الزخرف: ٣١ – ٣٢.

المسألة الثالثة: مثل الآيات السابقات قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ التغابن: ٦، فالاستفهام للإنكار والتعالي.

ومثلها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ الأنبياء: ٣٦، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ الفرقان: ٤١، فالاستفهام فيهما للاستهزاء والتحقير. وقوله تعالى: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾ ص: ٨، وقد سبق الحديث عنها.

الآية التاسعة: قال تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ الأنبياء: ٥٥.

فيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام للإنكار، والمقصود الإنكار على الخليل إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام والتعجب من فعله واستعظامًا لما فعله من تسفيه ما كانوا عليه هم وآباؤهم من عبادة الأصنام والمعنى: هل أنت جاد أم لاعب مازح؟ (٦١)

المسألة الثانية: جاء الرد من إبراهيم حازمًا قويًا مبطلًا لكل معتقداتهم معلنًا التحدي لهم ولمعتقداتهم: ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٦ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾ الأنبياء: ٥٦ – ٥٧ .قال الزمخشري: وشهادته على ذلك: إدلاؤه بالحجة عليه، وتصحيحه بها كما تصحح الدعوى بالشهادة، كأنه قال: وأنا أبين ذلك وأبرهن عليه كما تبين الدعاوى بالبينات، لأني لست مثلكم، فأقول ما لا أقدر على إثباته بالحجة. كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم، ولم تزيدوا على أنكم وجدتم عليه آباءكم. (٦٢)

الآية العاشرة: قال تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ **المؤمنون: ٤٧**.فيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام للإنكار والتعالي.

المسألة الثانية: وجه إنكارهم أن قوم موسى خاضعون لفرعون منقادون لأمره فكيف يطلب منه وهو الملك ومن ملئِه وهم علية القوم اتباع من كان قومه بهذه المثابة من العبودية، ومثله قول قوم نوح لنبيهم: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ الشعراء: ١١١ ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ﴾ هود: ٢٧، وهذا حال المعاندين كلهم مع رسلهم امتنعوا عن الإيمان كبرًا وأنفة وتعاليًا على الخلق.

المسألة الثالثة: ذكر الله العاقبة مباشرة بعد قولهم هذا ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ﴾ المؤمنون: ٤٨، وعطفها بالفاء لأن الإهلاك صار كالمعلول للتكذيب. (٦٣)

الآية الحادية عشرة: قال تعالى: ﴿أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ﴾ **سبأ: ٨**. فيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام للإنكار والاستبعاد لمسألة البعث بعد الموت صاغوه بالتعجب من إخبار الرسول ﷺ بذلك.

المسألة الثانية: جعل المعاندين الأمر دائرًا بين كذب النبي ﷺ وجنونه، فجاء الرد القرآني حازمًا مؤكدًا لحقيقة أن الكافرين لا يؤمنون بالآخرة فلهم العذاب في الآخرة وهم في الضلال البعيد عن الحق في الدنيا.قال الشوكاني: ثم حكى سبحانه عن هؤلاء الكفار أنهم رددوا ما وعدهم به رسول الله ﷺ من البعث بين أمرين فقالوا: ﴿أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ﴾أهو كاذب فيما قاله أم به جنون بحيث لا يعقل ما يقوله؟، ثم رد عليهم سبحانه ما قالوه في رسوله فقال ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ﴾ أي: ليس الأمر كما زعموا، بل هم الذين ضلوا عن الفهم وإدراك الحقائق، فكفروا بالآخرة ولم يؤمنوا بما جاءهم به، فصاروا بسبب ذلك في العذاب الدائم في الآخرة وهم اليوم في الضلال البعيد عن الحق غاية البعد. (٦٤)

المسألة الثالثة: أن كلا الاحتمالين اللذين أوردوهما غير صحيح:فأما افتراؤه على الله الكذب فهو مخالف لما استقر عندهم من صدقه فقد كانوا يلقبونه بالصادق الأمين، فكيف يصح أن يترك الكذب عليهم ويكذب على الله! ثم إن دلائل صدقه في دعوته قائمة ماثلة أمام أعينهم لا ينكرها ذو بصيرة ومنها هذا القرآن الذي أبهرهم ببيانه وقوة حجته وسلطانه وقد عجزوا عن أن يأتوا بآية من مثله.وأما ادعاؤهم بأنه مجنون فظاهر السقوط فقد كان أعقل العقلاء لا ينكر تمام عقله عاقل مدرك، فمن يزعم غير ذلك فهو مخالف لحقائق الأمور ومقتضيات العقول.

المسألة الرابعة: وجه القرآن أنظار المعاندين للآيات المحيطة بهم ففيها من الدلائل على وحدانيته وقدرته المطلقة على الخلق والإعادة ما يكفي لمن أراد الحق، وحذرهم من العذاب عند استكبارهم عن قبول الآيات البينات والحجج الظاهرات: ﴿أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾ سبأ: ٩.

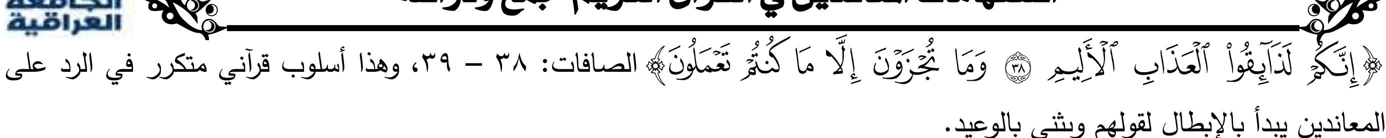
الآية الثانية عشر: قال تعالى ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ﴾ **الصافات: ٣٦**.فيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام للإنكار.

المسألة الثانية: استدلوا لترك اتباع محمد بحجتين باطلتين وهما: أنه شاعر وأنه مجنون.

فأما الحجة الأولى فهي باطلة فإنهم أعلم الناس بالشعر وبحوره وجيده ورديئه، وهو ﷺ لم يؤثر عنه بيتًا ولا شطره من الشعر فلم يبق إلا أنهم كاذبون مفترون معاندون. وأما الحجة الثانية فقد سبق الإجابة عنها في الآية السابقة.

المسألة الثالثة: رد القرآن عليهم بإبطال ما ذكروه واستخدم (بل) المفيدة للإبطال هنا: ﴿بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ الصافات: ٣٧، فبين أنه ما جاء إلا بالحق وصدق المرسلين قبله فلم يأت بما يخالفهم في الدعوة إلى الإسلام والتوحيد ثم أردف ذلك بالتهديد والوعيد:

﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ۝ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الصافات: ٣٨ – ٣٩، وهذا أسلوب قرآني متكرر في الرد على المعاندين يبدأ بالإبطال لقولهم ويثني بالوعيد.

المطلب الثالث: الاستفهام في باب الساعة والبعث والنشور:

الإيمان باليوم الآخر والبعث والنشور والحساب هو من أركان الإيمان الذي لا يتم إيمان العبد إلا به، فلو أنكره مع الإقرار ببقية الأركان لعد كافرًا، وقد جاءت آيات كثيرة في كتاب الله تتحدث عن هذا الركن من حيث ضرورة الإيمان به وإثباته بإقامة الحجج على إمكانه، ورد شبه المعاندين حوله. ويمكن تقسيم الآيات الواردة في هذا المطلب إلى قسمين: آيات الاستبعاد وآيات الاستبطاء.

القسم الأول: الآيات التي تحدثت عن استبعاد المعاندين للساعة والبعث.

الآية الأولى: قال تعالى ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ **يونس: ٥٣**. فيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام هنا للإنكار والاستهزاء [٦٥]، وهو صادر عن المعاندين.قال الزمخشري: وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء. وقرأ الأعمش: (آلحق هو) وهو أدخل في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بأنه باطل، وذلك أن اللام للجنس، فكأنه قيل: أهو الحق لا الباطل، أو أهو الذي سميتموه الحق؟ [٦٦] وقيل هو على بابه، والاستخبار عن حقية القرآن [٦٧] أو الرسول، وهو من الشاكين. [٦٨]

المسألة الثانية: اختلف المفسرون في الضمير ﴿هُوَ﴾ على أي شيء يعود: فقيل للعذاب وقيل للقرآن وقيل للساعة. [٦٩]

المسألة الثالثة: جاء الجواب كما هي عادة القرآن مع المعاندين بالحزم والجزم والتأكيد على أنه حق: ﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: ليس صيرورتكم ترابًا بمعجز الله تعالى عن إعادتكم أو بفائتين العذاب. [٧٠]

المسألة الرابعة: لما كان استفهامهم استهزاءً وتكذيبًا لا لغرض الاستخبار فقد يرد هنا سؤال: لم أجاب عنه والحال هذه؟

أجاب الطاهر بن عاشور عن هذا السؤال إجابة بديعة فقال: واستعملوا الاستفهام تباِلهًا، ولذلك اشتمل الجواب المأمور به على مراعاة الحالتين فاعتبر أولًا ظاهر حال سؤالهم فأجيبوا على طريقة الأسلوب الحكيم بحمل كلامهم على خلاف مرادهم تنبيهًا على أن الأولى بهم سؤال الاسترشاد تغليطًا لهم واغتنامًا لفرصة الإرشاد بناء على ظاهر حال سؤالهم، ولذلك أكد الجواب بالتوكيد اللفظي إذ جمع بين حرف (إي) وهو حرف جواب يحقق به المسئول عنه، وبين الجملة الدالة على ما دل عليه حرف الجواب، وبالقسم، وإن، ولام الابتداء، وكلها مؤكدات. والاعتبار الثاني اعتبار قصدهم من استفهامهم فأجيبوا بقوله: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾. [٧١]

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ **الرعد: ٥**.فيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام هنا للإنكار والاستبعاد. [٧٢] أنكر واستبعد هؤلاء المعاندون البعث، وظنوا أن الله عاجز عن ذلك استكبارًا وعنادًا، مع قيام الآيات الظاهرة على قدرته المطلقة، وعلى قيام أدلة العقل الدالة على أن الابتداء من العدم أصعب عقلًا من الإعادة بعد الوجود.قال الزمخشري في تفسير الآية: وإن تعجب يا محمد من قولهم في إنكار البعث، فقولهم عجيب حقيق بأن يتعجب منه، لأن من قدر على إنشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن، كانت الإعادة أهون شيء عليه وأيسره، فكان إنكارهم أعجوبة من الأعاجيب. [٧٣]

المسألة الثانية: رد القرآن على هؤلاء المعاندين بأنهم استحقوا وصف الكفر بالله وبأن مأواهم النار وينتظرهم فيها من العذاب ما تقشعر لذكره الأبدان، والسبب أنهم كفروا بالبعث بعدما قامت الأدلة الواضحة عليه مما يرون حولهم من آياتِ ابتداءِ الخلق وآيات القدرة المطلقة كرفع السماء بلا عمد وتسخير الشمس والقمر ومد الأرض وتثبيتها بالجبال العظيمة وإجراء الأنهار وإخراج الثمرات والجنات إلى آخر ما ذكر من الآيات في هذه السورة قبل هذه الآية وغيرها من الآيات في السور الأخرى.

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝ ۞ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ **الإسراء: ٤٩ – ٥١**.فيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام الأول: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ للإنكار والاستبعاد، والاستفهام الثاني:



﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾ للتحدي والتعجيز، والاستفهام الثالث: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ للاستبعاد والنفي والاستهزاء.[٧٤]

المسألة الثانية: رد القرآن عليهم بأن قدرة الله لا يحدها قيد فلو كنتم حجارةً أو حديدًا خاليًا من آثار الحياة أو أي شيء يكبر في نفوسكم فالله قادر على إعادتكم بدليل أنه أنشأكم أول مرة. قال الزمخشري: والمعنى: أنكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم، ويرده إلى حال الحياة وإلى رطوبة الحي وغضاضته بعد ما كنتم عظامًا يابسة، مع أن العظام بعض أجزاء الحي، بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره، فليس ببدع أن يردها الله بقدرته إلى حالتها الأولى، ولكن لو كنتم أبعد شيء من الحياة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب منه البشر– وهو أن تكونوا حجارةً يابسةً أو حديدًا مع أن طباعها الجسارة والصلابة– لكان قادرًا على أن يردكم إلى حال الحياة ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾ يعنى أو خلقًا مما يكبر عندكم عن قبول الحياة ويعظم في زعمكم على الخالق إحياؤه فإنه يحييه. وقيل: ما يكبر في صدورهم الموت. وقيل: السموات والأرض.[٧٥]

المسألة الثالثة: إن قضية الهوى مانعة من رؤية الحق وقبوله وهي ما كان عليه منكروا البعث ولذا بعد أن ألزمهم بالإمكان العقلي: ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾حركوا رؤوسهم حركة المنكر المكذب المستهزئ[٧٦] وانتقلوا من التسليم للدليل إلى سؤال آخر هروبًا من الانقياد وتلمسًا لأي حجة: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾.قال أبو حيان: ولم يقولوا ذلك على سبيل التسليم للعود، ولكن حيدة وانتقالًا لما لا يسأل عنه، لأن ما يثبت إمكانه بالدليل العقلي لا يسأل عن تعيين وقوعه، ولكن أجابهم عن سؤالهم بقرب وقوعه لا بتعيين زمانه لأن ذلك مما استأثر الله تعالى بعلمه.[٧٧]

المسألة الرابعة: ذكر الله جزاءهم في الآخرة بأنهم يحشرون على وجوههم عميًا وبكمًا وصمًا وأن مأواهم النار حيث قال: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ الإسراء: ٩٧ – ٩٨.

الآية الرابعة: قال تعالى ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

المؤمنون: ٨١ – ٨٤. فيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام كسابقيه في هذا الباب للإنكار والاستبعاد.

المسألة الثانية: أن إنكار البعث أمر قديم، وقعت فيه العقول المريضة والنفوس الخاوية من الإيمان.

المسألة الثالثة: الاستبعاد بدليل أن آباءهم الأولين لم يبعثوا مع أنهم قد وعدوا بالبعث.

المسألة الرابعة: زعمهم أن هذا الكلام من أساطير الأولين ولا حقيقة له بل هو كذب وهروب من الإلزام العقلي بإمكان البعث.

المسألة الخامسة: رد القرآن عليهم بلفت أنظارهم إلى الأدلة الظاهرة على الملك الحقيقي والقدرة الباهرة التي يقرون بها والتي من المفترض أن تكفي في إقامة الحجة على البعث: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ المؤمنون: ٨٤ – ٩٠.

المسألة السادسة: جاءت آيات كثيرة تحمل نفس الاستفهام الإنكاري وسأستعرضها سريعًا فإن القول فيها كالقول في الآيات السابقة: قال تعالى في سورة مريم ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ مريم: ٦٦ – ٦٨. وقال تعالى في سورة المؤمنون عن عاد وقيل ثمود: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ المؤمنون: ٣٥ – ٣٧. وقال تعالى في سورة النمل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا

وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ النمل: ٦٧ – ٦٩.وقال تعالى في سورة السجدة: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ﴾ السجدة: ١٠. وقال تعالى في سورة سبأ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ سبأ: ٧.وقال تعالى في سورة يس: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ يس: ٧٨ – ٨٣. وقال تعالى في سورة الصافات في الموضع الأول: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ﴾ الصافات: ١٦ – ١٨.وقال تعالى في سورة الصافات في الموضع الثاني ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ الصافات: ٥١ – ٥٥. وقال تعالى في سورة الأحقاف: ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾ الأحقاف: ١٧ – ١٨. وقال تعالى في سورة ق ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ﴿٣﴾ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ﴿٤﴾ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ﴾ ق: ٢ – ٥.وقال تعالى في سورة الواقعة: ﴿وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ الواقعة: ٤٧ – ٥٦.وقال في سورة القيامة: ﴿يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ القيامة: ٦.وقال في سورة النازعات: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ﴿١١﴾ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ قمَّ النازعات: ١٠ – ١٣.

القسم الثاني: الآيات التي تحدثت عن استبطاء المعاندين للساعة.الناس في السؤال عن الساعة قسمان (٧٨):قسم يسأل ليستعد لها أو لحب معرفة وقت وقوعها كما في الحديث: أن رجلًا سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال ﷺ: وماذا أعددت لها؟ قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فقال ﷺ: أنت مع من أحببت. (٧٩) وقد جاءت عدة أحاديث بهذا المعنى. والقسم الآخر يسأل عنادًا للنبي ﷺ واستبطاء لها واستهزاءً بها، وفيهم نزل قول الله عز وجل ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾ الشورى: ١٧ – ١٨.فبين ووضح منهج الفريقين منهج المؤمنين المشفقين منها الموقنين بوقوعها ومنهج الجاهلين المعاندين. وهذا القسم الأخير جاءت فيها آيات تؤكد على ما ذكره الله عز وجل من منهج هؤلاء في آية الشورى فمنها:

الآية الأولى: قال تعالى ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ الأعراف: ١٨٧.فيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام في هذه الآية يحتمل أن يكون صادرًا عن الكفار واختلفوا هل هم قريش أم اليهود، ويحتمل أن يكون صادرًا عن غيرهم من المؤمنين. قال ابن جرير بعد أن نقل الروايات في أن السؤال كان من قريش أو من اليهود: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن قومًا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة، فأنزل الله هذه الآية، وجائز أن يكون كانوا من قريش، وجائز أن يكونوا كانوا من اليهود، ولا خبر بذلك عندنا يجوز قطع القول على أي ذلك كان. (٨٠) فهذا غاية التحقيق منه فلا الآية تدل على أن السؤال كان من أحد

الفريقين ولا صح من أسباب النزول ما يحملها عليهم فبقيت الآية على عمومها، وبقي الاستفهام محتملًا صدوره عن أحد الفريقين. فإن كان الاستفهام صادرًا عن الكفار فهو للاستبطاء أو الاستبعاد لما علم من حالهم من ترك سؤال الاسترشاد وإلقاء الأسئلة المشككة في الدين.

وإن كان الاستفهام صادرًا عن المؤمنين فهو سؤال استرشاد باق على بابه.

المسألة الثانية: رد القرآن على الممارين في الساعة بأن لا سبيل لمعرفتها لأحد من الخلق، فالسؤال غير ذي جدوى، وليس المسؤول فيها بأعلم من السائل كما في حديث جبريل المشهور (٨١)، فإذا تقرر هذا في جبريل عليه السلام ومحمد ﷺ فغيرهما من باب أولى، لذا جاء التركيز دائمًا على معرفة أماراتها أو الحث على الاستعداد لها.

المسألة الثالثة: مثل هذه الآية قوله تعالى في سورة النازعات: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ۝٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ۝٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝٤٤ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ۝٤٥ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا﴾ النازعات: ٤٢ – ٤٦.

المسألة الرابعة: جاء التساؤل صريحًا من المعاندين في موضعين:

الموضع الأول: ﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ۝١١ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٢ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾ الذاريات: ١٠ – ١٤. الخراصون: الكذابون، وسؤالهم عن يوم الدين تكذيبًا واستهزاءً (٨٢) فالاستفهام منهم للاستبطاء بدليل قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾..

الموضع الثاني: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ القيامة: ٣ – ٦.الإنسان في هذه الآية إما أن يكون المقصود به المؤمن أو الكافر :فإن حمل على الكافر فهذا الاستفهام للتكذيب والاستهزاء والاستبطاء. (٨٣) وإن حمل على المؤمن فالمقصود به التسويف في التوبة. قال السيوطي: وأخرج الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس في قولهً: ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ قال: يقول سوف أتوبُ ﴿يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ قال: يقول متى يوم القيامة. (٨٤)

المطلب الرابع: الاستفهام في باب النفاق:

الآية الأولى: قال تعالى ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٧٦ ﴾ **البقرة: ٧٦**

فيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهامين للإنكار والعتاب والنهي (٨٥)، الإنكار على بعضهم في إخبار المؤمنين ببعض ما في كتبهم إنكار المعاتب ومقصودهم النهي عن فعل ذلك مستقبلًا.

المسألة الثانية: المقصود بالآية منافقوا اليهود الذين يظهرون الإيمان للمؤمنين وإذا خلوا إلى رؤسائهم أظهروا دينهم وتلاوموا فيما بينهم بسبب إظهار بعضهم صفة النبي ﷺ التي في كتبهم للمؤمنين أو غير ذلك من الأمور التي ذكرها أهل التفسير في هذا الموضع. (٨٦)

المسألة الثالثة: أهل النفاق هم أهل الكذب وإخفاء الحقائق خاصة إذا كانوا من اليهود فهم قوم بهت كما وصفهم عبد الله بن سلام في حديث إسلامه المشهور (٨٧)، وقد قطع الله عز وجل الرجاء فيهم لما لهم من سوابق الكفر وقتل الأنبياء ورفض الحق وعدم الإذعان إليه فقال قبل هذه الآية، ﴿أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾: ٧٥، فمن كانت هذه صفته فلا ثقة فيه ولا يرجى خيره ولا يطمع في إيمانه ويجب أخذ الحذر منه.

المسألة الرابعة: رد القرآن عليهم بأسلوب الاستفهام الذي قصد به التوبيخ والتقريع (٨٨) ﴿أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾ البقرة: ٧٧.

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ

يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ **آل عمران: ١٥٤**.فيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام هنا يحتمل أن يكون: للجحد، والتقدير: ما لنا من الأمر من شيء (٨٩)، أو للإنكار والمعنى: مالنا أمر يطاع، وقيل: المراد بالأمر النصر والظفر، يعني: ما لنا من هذا الذي يعدنا محمد به من النصر والظفر من شيء إنما هو للمشركين. (٩٠) وقيل المعنى: ما لنا من الخير والظفر والفلاح من شيء في متابعة هذا الرجل وفي هذه الحروب. (٩١) وذهب بعض المفسرين إلى أن الاستفهام باق على حقيقته بدليل أنهم أجيبوا بقوله ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ ولو كان معناه النفي لم يجابوا بذلك، لأن من نفى عن نفسه أن يكون له شيء من الأمر لا يجاوب بذلك. (٩٢) قال الشوكاني: يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ أي: هل لنا من أمر الله نصيب، وهذا الاستفهام معناه: الجحد، أي: ما لنا شيء من الأمر. وهو النصر والاستظهار على العدو وقيل: هو الخروج، أي: إنما خرجنا مكرهين، فرد الله سبحانه ذلك عليهم بقوله ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ وليس لكم ولا لعدوكم منه شيء، فالنصر بيده والظفر منه. وقوله ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ أي: يضمرون في أنفسهم النفاق ولا يبدون لك ذلك، بل يسألونك سؤال المسترشدين، وقوله ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ استئناف، كأنه قيل: ما هو الأمر الذي يخفون في أنفسهم؟ فقيل: يقولون فيما بينهم، أو في أنفسهم: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ أي: ما قتل من قتل منا في هذه المعركة. (٩٣)

المسألة الثانية: أجمع المفسرون على أن المقصود بهذه الطائفة المنافقين. (٩٤)

المسألة الثالثة: نزلت هذه الآيات في غزوة أحد عندما رجحت كفة الكافرين على المؤمنين فظهر النفاق في تصرفات المنافقين وكلماتهم ظنًا منهم أن شوكت الإسلام قد كسرت، فجاء القرآن فاضحًا لسرائرهم كاشفًا لقبيح أفعالهم ورد عليهم وعلى شبههم بأن الأمر كله لله وأن أقدار الله ماضية وأن من كتب عليه الموت سيأتيه ولو كان في بيته: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ **النساء: ١٤١**.فيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهامين: الأول: ﴿قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ والثاني: ﴿قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ للتقرير (٩٥) ومقصودهم استحقاقهم للغنيمة عند ترجح كفة أي الفريقين. (٩٦)

المسألة الثانية: هذه الآيات نزلت في المنافقين بإجماع المفسرين.

المسألة الثالثة: رد القرآن على المنافقين بفضحهم وفضح سلوكهم فقال في سياق هذه الآيات: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ النساء: ١٤٢ – ١٤٥.

فبين صفاتهم المخادعة والتضليل وبين أنها مردودة عليهم، وبين موقفهم من الصلاة وكسلهم عنها ومراءاتهم وعدم ذكرهم الله وتذبذبهم ثم بين مأواهم ومصيرهم وأنهم في الدرك الأسفل من النار ردعًا لهم عن غيهم وتحذيرًا من سلوك طريقهم.

الآية الرابعة: قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ **التوبة: ١٢٤**.فيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام للإنكار والاستهزاء. (٩٧)

المسألة الثانية: القائلون هم المنافقون. (٩٨)

المسألة الثالثة: رد القرآن على هذه السخرية التي يتداولها المنافقون فيما بينهم بأن المؤمنين زادتهم الآيات المنزلة من ربهم إيمانًا بالفعل وهم مستبشرون بما ينزل من عند الله، وأن المنافقين زادتهم رجسًا إلى رجسهم؛ أي: خبثًا إلى خبثهم، وماتوا وهم كافرون.قال الشوكاني: ثم حكى الله سبحانه بعد مقالتهم هذه أن المؤمنين زادتهم إيمانًا إلى إيمانهم، والحال أنهم يستبشرون مع هذه الزيادة بنزول الوحي وما يشتمل عليه من المنافع الدينية والدنيوية، وأما الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون فزادتهم السورة المنزلة رجسًا إلى رجسهم أي: خبثًا إلى خبثهم الذي هم عليه من الكفر وفساد الاعتقاد، وإظهار غير ما يضمرونه وثبتوا على ذلك واستمروا عليه إلى أن ماتوا كفارًا منافقين، والمراد بالمرض هنا: الشك والنفاق وقيل: المعنى: زادتهم إثمًا إلى إثمهم.(٩٩)

الآية الخامسة: قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ **التوبة: ١٢٧**.فيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام هنا على بابه، وقيل: هو للاستهزاء والسخرية. (١٠٠) قال البغوي: وإذا ما أنزلت سورة فيها عيب المنافقين وتوبيخهم، نظر بعضهم إلى بعض، يريدون الهرب يقول بعضهم لبعض إشارة ﴿هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ﴾ أي: أحد من المؤمنين إن قمتم، فإن لم يرهم أحد خرجوا من المسجد، وإن علموا أن أحدًا يراهم أقاموا وثبتوا، ثم انصرفوا عن الإيمان بها، وقيل: انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها، صرف الله قلوبهم، عن الإيمان.

المسألة الثانية: النتيجة لهذا الفعل المشين هو صرف الله قلوبهم عن كل رشد وخير وهدى بسبب ما فعلوه وبسبب أنهم قوم لا يفقهون ولا يعقلون الآيات ولا يتدبرونها.

الآية السادسة: قال تعالى ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ **محمد**: ١٦.فيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام هنا للاستهزاء (١٠١)، وقيل: الاستفهام على حقيقته (١٠٢) والمعنى: أنهم كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ فيستمعون ولا يعون ولا يفهمون تهاونًا وتغافلًا فإذا خرجوا سألوا الصحابة أولي العلم من أمثال عبد الله بن مسعود ﷺ وعبد الله بن عباس ﷺ عما قاله رسول الله ﷺ إما استخفافًا على القول بأن المقصود الاستهزاء، وإما استعلامًا على قول من رأى الاستفهام على بابه.

المسألة الثانية: حذر الله عز وجل من سلوك سبيل المنافقين المتبعين لأهوائهم الذين طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ولا يعلمون ولا يدركون بل يرون سوء عملهم حسنًا فقال سبحانه قبل هذه الآية: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم﴾ محمد: ١٤، فاتباع سبيلهم مفض إلى نفس النتيجة: اتباع الهوى وتزين العمل، وكلاهما مرد لصاحبه مهلك له عاقبته النار: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ محمد: ١٢.

المطلب الخامس: الاستفهام في باب الشبهات:

التلازم بين المعاندين والشبهات تلازم مؤكد، فغاية ما يستطيعه المعاندون هو إثارة الشبهات بالباطل لصرف المؤمنين عن إيمانهم وتشكيكهم في دينهم، ومن وسائل إثارة الشبهات إثارة الأسئلة التي لا يقصد بها معرفة الحق بل التشكيك في الدين وصرف المؤمنين عن إيمانهم، وهذه جملة من الآيات في هذا الباب:

الآية الأولى: قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ **البقرة: ٢٦**.فيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام للإنكار والاستحقار والاسترذال. (١٠٣) والمراد به التشكيك في صحة القرآن وأن مثل هذا الكلام لا يصدر عن الله عز وجل.

المسألة الثانية: ذكر المفسرون أن الاستفهام هنا صادر عن اليهود أو المشركين أو المنافقين وكل ذلك محتمل (١٠٤)؛ أما اليهود فقالوا: هذا لا يشبه كلام الله، وأما المشركون فقالوا: ما بال العنكبوت والذباب يذكران! وأما المنافقون فقالوا: الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال.

(١٠٥) قال ابن جرير: وقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾يعني الذين جحدوا آيات الله وأنكروا ما عرفوا وستروا ما علموا أنه حق، وذلك صفة المنافقين، وإياهم عنى الله جل وعز – ومن كان من نظرائهم وشركائهم من المشركين من أهل الكتاب وغيرهم – بهذه الآية. (١٠٦)

المسألة الثالثة: ذكر الله سبحانه الرد على هؤلاء المعاندين بأنه سبحانه له أن يضرب ما شاء من الأمثال وسيعقلها عنه العالمون من المؤمنين كما قال في سورة العنكبوت: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٣، وأن هذه الأمثال تهدي وتضل؛ فأما المؤمنون فأهل الهداية والتوفيق والفهم وأما أهل الزيغ والفسق فأهل للضلال.

المسألة الرابعة: يرد على هذه الشبهة عقلًا بما يلي (١٠٧):

أولًا: لا حجة فيها بعد الإقرار بالربوبية فإن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ويرد بهذا على اليهود.

ثانيًا: ضرب الأمثال باب متسع، ويشمل المثل الصغير والكبير والشريف والحقير فالعبرة لا بذكر هؤلاء بل بما يتحصل من المثل من تقريب الأمور التي قد تدق أو تخفى أو تحتاج إلى برهان عقلي، فليس ذلك مما يعاب بل مما يحمد.

ثالثًا: جرت عادة العرب وغيرهم في الكلام بضرب الأمثال، وإنما يبلغ الكلام منزلته في الحسن والبلاغة بذلك، وقد ذكر العرب المثل بالحقير في كلامهم فقالوا: أجمع من ذرة وأطيش من ذبابة ونحوها.

رابعًا: أن كلما ضرب به المثل فهو مخلوق لله، شأن خلقه عظيم وإن كان عند الناس محتقرًا، والناس عاجزون عن خلق مثله، وفي خلقه من الآيات الدالة على قدرة الخالق ما يعجز العقل عن استيعابه واللسان عن وصفه، وفي قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ الحج: ٧٣، مثال على ذلك.

الآية الثانية: قال تعالى ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ البقرة: ١٤٢. فيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام للإنكار والتشكيك وهو صادر إما عن اليهود فيكون لكراهتهم التحول عن قبلتهم فيكون للإنكار، وإما أن يكون صادرًا عن المنافقين ويكون قصدهم الطعن في الدين والتشكيك فيه، أو يكون صادرًا عن مشركي العرب الذين قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع إليها فسيرجع إلى دينهم. (١٠٨)

المسألة الثانية: رد القرآن عليهم بما يأتي:

أولًا: سماهم سفهاء، والسفه فسر بأكثر من معنى منها: خفة العقل والجهل والظلم والبهت والكذب. (١٠٩)

ثانيًا: أن المشرق والمغرب كله لله سبحانه وهو يهدي من يشاء إلى صراطه المستقيم.

ثالثًا: أن تغيير القبلة فيه ابتلاء لمن اتبع الرسول يظهر فيه من آمن حقيقةً ومن آمن نفاقًا.

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ مريم: ٧٣.فيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام للتقرير، أرادوا به الاستدلال على أفضليتهم بكونهم أحسن حالًا وهيئةً ومتاعًا.

المسألة الثانية: استدلالهم هذا باطل من أوجه:

الأول: أن الغنى والفقر أمور مقدرة من رب العباد لا دخل لها في هدى أو ضلال، وهي أحوال متغيرة وغير ثابتة؛ فقد يمسي الكافر فقيرًا معدمًا ويصبح المؤمن ثريًا منعمًا والعكس، فلا يصح الاستدلال بحسن الحال على الهدى والرشاد.

الثاني: أن الملأ من الأكابر من كل قوم كانوا هم المعاندين لأنبيائهم فما أغنت عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا لما أرسل عليهم العذاب.

الثالث: أن الفقراء هم أتباع الأنبياء في الجملة، وما زال المعاندون من الملأ يعيرونهم بفقرهم ويتعالون عليهم حتى أتاهم أمر الله بالهلاك، فأعز الله المؤمنين وأذل الكافرين، وكانت هذه سنة الله في الأمم.

المسألة الثالثة: رد القرآن عليهم بأبلغ رد وأوضح حجة فقال تعالى ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ مريم: ٧٤ – ٧٥.

الآية الرابعة: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يس: ٤٧ .فيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام للإنكار، ومقصودهم التلبيس بالاستدلال بحجب الله الرزق عن الفقراء وهو الغني على أنهم أولى بحرمانهم منه كونهم أقل غنى، ولا يخلو استفهامهم هذا عن معنى الاستهزاء. (١١٠)

المسألة الثانية: الاستدلال بالمشيئة على المعصية طريقة الكافرين كما ذكره الله عنهم في قوله: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ الأنعام: ١٤٨.فاستدلوا على الشرك وبقية المعاصي بالمشيئة وهؤلاء يسميهم العلماء بالقدرية المشركية. (١١١)

المسألة الثالثة: رد القرآن عليهم بالسابق واللاحق من الآيات الموجبة للطاعة والإذعان والانقياد لأمره ؛ أما السابق من الآيات ففيها بيان قدرة الله سبحانه وتعالى في الخلق وآياته الباهرة ونعمه الظاهرة وذلك ابتداءً من قوله: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ يس: ٣٣، إلى أن وصل إلى قولهم الباطل وحجتهم الداحضة وسؤالهم عن موعد العذاب في قولهم: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ يس: ٤٨، وهذا القول منهم ظاهر في التكذيب لله ورسوله وأن ما احتجوا به لم يكن إلا كفرًا راسخًا وعنادًا واضحًا لا عن شبهة قدحت في أذهانهم تزال بالحجة، ولذلك جاء السياق في الوعيد بالعذاب وتصوير مشاهده، ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ يس: ٤٩ – ٥٠، ثم استمر السياق في بيان العذاب وتصوير حالهم حين البعث وماهم فيه من الهلع والجزع: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ يس يس: ٥١ – ٥٣، وهذا ردع لهم بالوعيد، ثم تمضي الآيات في هذه السورة ما بين ذكر الوعد لعباده المؤمنين وما خصهم به من النعيم وأحوال أهل الكفر في النار، وهذا من عادة القرآن عند مخاطبة المعاندين.

الآية الخامسة: قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ المدثر: ٣١ .فيها مسائل:

المسألة الأولى: الاستفهام هنا للإنكار ومقصودهم الاستهزاء، فإنهم تقالوا عدد خزنة النار وزعموا أنهم قادرون على مواجهتهم بكل سهولة كما روى ابن جرير عن ابن عباس قال: لما سمع أبو جهلٌ ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ المدثر: ٣٠ قال لقريش: ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم. (112)

المسألة الثانية: ذكر الله سبحانه فوائد لذكر هذا العدد ومنها:

الأولى: ثبات المؤمنين وزيادة إيمانهم عند ورود أخبار الغيب.

الثانية: ظهور المنافقين الذين في قلوبهم مرض والتقاؤهم مع الكافرين في التكذيب والتشكيك بها.

الثالثة: فتنة الذين كفروا ليزدادوا كفرًا إلى كفرهم.

الرابعة: جعل الله سبحانه سقر وما فيها ذكرى للبشر.

المسألة الثالثة: جاء الرد على الكافرين في استهزائهم وزعمهم القدرة على مواجهة التسعة عشر بأنهم ليسوا بشرًا يسهل مواجهتهم بل ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ وقد جاء في صفتهم أن ما بين منكب أحدهم مسيرة مائتي خريف ليس في قلوبهم رحمة إنما خلقوا للعذاب، ويضرب الملك منهم الرجل من أهل النار الضربة فيتركه طحنًا من لدن قرنه إلى قدمه.[١١٣] هذا ما يسر الله سبحانه وتعالى لنا سطره ونسأل الله أن يتقبل منا إنه سميع قريب مجيب وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الخاتمة

بعد توفيق الله سبحانه يمكن أن نستخلص أهم النتائج لهذا البحث:

١- الاستفهامات التي ذكرها القرآن الكريم الصادرة عن المعاندين تعبر في غالبها عن الإنكار الناتج عن الكفر والعناد، وتحمل في طياتها أغراضًا أخرى كالسخرية بالنبي وبدعوته وبأتباعه والاحتقار لهم.

٢- لا يتحلى المعاندون بأي مصداقية في معاداة الأنبياء، وفي غالب أحوالهم يلجئون إلى السخرية بدلًا من قرع الحجة بالحجة.

٣- من مجالات استفهامات المعاندين إثارة الشبهات، وهو مجال خطر لا يكلف المعاند كثيرًا لأن المعاند ليس بحاجة لحشد الأدلة على شبهته ولا يعنيه ذلك، بل كل همه زعزعة الثقة بالدين في قلوب المؤمنين.

٤- سلك القرآن الكريم طريقة الوعيد مع المعاندين فلا يكاد يخلو استفهام من استفهامات المعاندين إلا وتبعته آيات الوعيد، وذلك لأن المعاند غير قابل لقوة الحجة والبرهان وغير خاضع لميزان العدل والإنصاف فلا يجدي معه إلا الوعيد.

٥- جاء الوعيد في سياق الآيات التي حكت استفهامات المعاندين ليقيم الحجة عليهم بالنذارة بعد أن جحدوا مقتضيات العقل وشواهد الحس الدالة على وحدانية الله وصدق الرسول، وأسلوب النذارة أسلوب قرآني يستخدم كثيرًا في القرآن الكريم للردع والتخويف.

المراجع

القرآن الكريم.

١.ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن بن محمد. "تفسير القرآن العظيم". تحقيق أسعد محمد الطيب. (ط٣، المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩هـ).

٢.ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. "مجموع الفتاوى". تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. (المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ -١٩٩٥م).

٣.ابن سلام، يحيى بن سلام. "تفسير يحيى بن سلام". تحقيق د. هند شلبي. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).

٤.ابن عاشور التونسي، محمد الطاهر بن محمد. "التحرير والتنوير". (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ).

٥.ابن عطية، عبد الحق بن غالب. "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ).

٦.ابن فارس القزويني، أحمد بن فارس. "معجم مقاييس اللغة". تحقيق عبد السلام محمد هارون. (دار الفكر، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م).

٧.ابن كثير، إسماعيل بن عمر. "تفسير القرآن العظيم". تحقيق محمد حسين شمس الدين. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ).

٨.أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى. "الكليات". تحقيق عدنان درويش - محمد المصري. (بيروت: مؤسسة الرسالة).

٩.أبو السعود العمادي، محمد بن محمد. "رشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

١٠.الأزهري، محمد بن أحمد. "تهذيب اللغة". تحقيق محمد عوض مرعب. (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).

١١.الأصفهاني، الحسين بن محمد. "المفردات في غريب القرآن". تحقيق صفوان عدنان الداودي. (ط١، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، ١٤١٢هـ).

١٢.الأنباري، عبد الرحمن بن محمد. "أسرار العربية". (ط١، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م).

١٣. الأندلسي، محمد بن يوسف. "البحر المحيط". تحقيق صدقي محمد جميل. (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ).

١٤.الأنصاري، محمد بن مكرم. "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).

١٥.الإيجي، محمد بن عبد الرحمن. "جامع البيان في تفسير القرآن". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م).





١٦.البخاري، محمد بن إسماعيل. "صحيح البخاري". تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر. (ط١، دار طوق النجاة،١٤٢٢هـ).

١٧.البغوي، الحسين بن مسعود. "معالم التنزيل في تفسير القرآن". تحقيق عبد الرزاق المهدي. (ط١، بيروت: دار إحياء التراث ١٤٢٠هـ).

١٨.البيضاوي،عبد الله بن عمر.أنوار التنزيل وأسرار التأويل".تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي.(ط١،بيروت:دار إحياء التراث ، ١٤١٨هـ).

١٩.الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. "درج الدرر في تفسير الآي والسور". تحقيق وليد بن أحمد بن صالح الحسين – إياد عبد اللطيف القيسي. (ط١، بريطانيا: مجلة الحكمة، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م).

٢٠.الجرجاني، علي بن محمد. "التعريفات". تحقيق جماعة من العلماء. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م).

٢١.الجوزي، عبد الرحمن بن علي. "زاد المسير في علم التفسير". تحقيق عبد الرزاق المهدي. (ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ).

٢٢.الحميري، نشوان بن سعيد. "شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم". تحقيق جماعة من المحققين. (ط١، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، ١٤٢٠هـ –١٩٩٩م).

٢٣.الخازن، علي بن محمد. "لباب التأويل في معاني التنزيل". تصحيح محمد علي شاهين. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).

٢٤.الرازي، محمد بن عمر. "مفاتيح الغيب" (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

٢٥.رضا، محمد رشيد بن علي. "تفسير المنار". (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م).

٢٦.الزمخشري، محمود بن عمرو. "أساس البلاغة". تحقيق محمد باسل عيون السود. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ –١٩٩٨م).

٢٧.الزمخشري، محمود بن عمرو. "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل". (ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).

٢٨.السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. "الدر المنثور". (بيروت: دار الفكر).

٢٩.الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. "أضواء البيان". (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ –١٩٩٥م).

٣٠.الشوكاني، محمد بن علي. "فتح القدير". (ط١، دمشق: دار ابن كثير، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ).

٣١.ابن حنبل،أحمد بن حنبل الشيباني. "مسند الإمام أحمد بن حنبل". تحقيق جماعة من المحققين.(ط١، مؤسسة الرسالة،١٤٢١ هـ– ٢٠٠١م).

٣٢.الصيادي، أحمد مطلوب. "أساليب بلاغية". (ط١، الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٨٠م).

٣٣.الطبراني، سليمان بن أحمد. "المعجم الكبير". تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي. (ط٢، القاهرة: مكتبة ابن تيمية).

٣٤.الطبري، محمد بن جرير. "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". تحقيق أحمد محمد شاكر. (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م).

٣٥.الطحاوي، أحمد بن محمد. "شرح مشكل الآثار". تحقيق شعيب الأرنؤوط. (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ –١٤٩٤م).

٣٦.العثيمين،محمد بن صالح.تفسير جزء عم".إعداد وتخريج فهد بن ناصر السليمان(ط٢، الرياض:دار الثريا للنشر والتوزيع،١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م).

٣٧.العسكري، الحسن بن عبد الله. "الفروق اللغوية". تحقيق محمد إبراهيم سليم. (القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع).

٣٨.العكبري، عبد الله بن الحسين. "اللباب في علل البناء والإعراب". تحقيق د.عبد الإله النبهان.(ط١، دمشق: دار الفكر، ١٤١٦هـ –١٩٩٥م).

٣٩.الفراهيدي، الخليل بن أحمد. "كتاب العين". تحقيق د. مهدي المخزومي– د. إبراهيم السامرائي. (دار ومكتبة الهلال).

٤٠.القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد. "محاسن التأويل".تحقيق محمد باسل عيون السود.(ط١، بيروت:دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ).

٤١.القرطبي،محمد بن أحمد"الجامع لأحكام القرآن"تحقيق أحمد البردوني–إبراهيم أطفيش(ط٢، القاهرة:دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ –١٩٦٤م).

٤٢.القشيري، مسلم بن الحجاج. "صحيح مسلم". تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

٤٣.الماوردي، علي بن محمد. "النكت والعيون". تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. (بيروت: دار الكتب العلمية).

٤٤.المحلي، محمد بن أحمد. والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. "تفسير الجلالين". (ط١، القاهرة: دار الحديث).

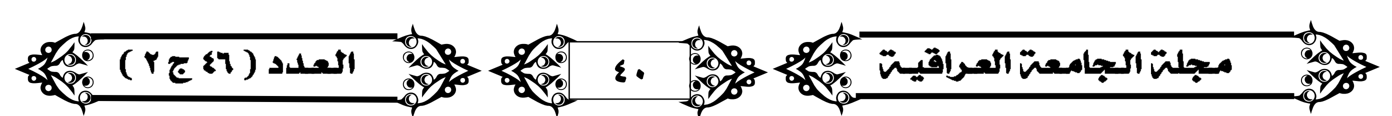
٤٥.المرسي، علي بن إسماعيل. "المحكم والمحيط الأعظم". تحقيق عبد الحميد هنداوي.(ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ –٢٠٠٠م).

٤٦.المقدسي، محمد بن عبد الواحد. "الأحاديث المختارة". تحقيق د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. (ط٣، بيروت: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م).

٤٧.المناوي، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين. "التوقيف على مهمات التعاريف". (ط١، القاهرة: عالم الكتب، ١٤١٠هـ –١٩٩٠م).

٤٨.النسفي، عبد الله بن أحمد. "مدارك التنزيل وحقائق التأويل".تحقيق يوسف علي بديوي.(ط١، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ –١٩٩٨م).

٤٩.النيسابوري، الحسن بن محمد. "غرائب القرآن ورغائب الفرقان". تحقيق الشيخ زكريا عميرات. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ).



٥٠.الهاشمي، أحمد بن إبراهيم. "جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع". تحقيق د. يوسف الصميلي. (بيروت: المكتبة العصرية).
٥١.الواحدي،علي بن أحمد"الوسيط في تفسير القرآن المجيد".تحقيق جماعة من المحققين.(ط١، بيروت:دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ –١٩٩٤م).

الهوامش

(١) أحمد بن فارس القزويني، "معجم مقاييس اللغة". تحقيق عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، ١٣٩٩هـ)، اللغة ٤: ٤٥٧.

(٢) محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور، "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، ١٢: ٤٥٩.

(٣) عبد الله بن الحسين العكبري، "اللباب في علل البناء والإعراب". تحقيق د.عبد الإله النبهان، (ط١، دمشق: دار الفكر، ١٤١٦هـ)، ٢: ١٢٩.

(٤) علي بن محمد الجرجاني، "التعريفات". تحقيق جماعة من العلماء، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م)، ص ١٨؛ وانظر للاستزادة: محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، "التوقيف على مهمات التعاريف". (ط١، القاهرة: عالم الكتب، ١٤١٠هـ)، ص ٤٩.

(٥) انظر: عبد الرحمن بن محمد الأنباري، "أسرار العربية". (ط١، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤٢٠هـ –١٩٩٩م)، ص ٢٦٧؛ أيوب بن موسى أبو البقاء الحنفي، "الكليات". تحقيق عدنان درويش – محمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ص ٩٩.

(٦) انظر للاستزادة: أبو البقاء الحنفي، "الكليات"، ص ٩٨ – ٩٩؛ أحمد مطلوب الصيادي، "أساليب بلاغية". (ط١، الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٨٠م)، ص ١٢١ –١٢٦؛ أحمد بن إبراهيم الهاشمي، "جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع". تحقيق د، يوسف الصميلي، (بيروت: المكتبة العصرية)، ص ٨٣ – ٨٤.

(٧) ابن فارس القزويني، "معجم مقاييس اللغة"، ٤: ١٥٣.

(٨) الخليل بن أحمد الفراهيدي، "كتاب العين". تحقيق د، مهدي المخزومي– د، إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال)، ٢: ٤٢.

(٩) محمد بن مكرم الأنصاري، "لسان العرب"،٣: ٣٠٧.

(١٠) محمد بن أحمد الأزهري، "تهذيب اللغة". تحقيق محمد عوض مرعب، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م)، ١٣١:٢؛ وانظر للاستزادة: محمود بن عمرو الزمخشري، "أساس البلاغة". تحقيق محمد باسل عيون السود، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ)، ١: ٦٨٠؛ نشوان بن سعيد الحميري، "شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم". تحقيق جماعة من المحققين، (ط١، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، ١٤٢٠هـ)، ٧: ٤٧٨٥؛ علي بن إسماعيل المرسي، "المحكم والمحيط الأعظم". تحقيق عبد الحميد هنداوي، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ)، ٢: ١٩.

(١١) الجرجاني، "التعريفات"، ص٢٢٠.

(١٢) الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل". (ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، ١: ٦٤.

(١٣) انظر: محمد بن جرير الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". تحقيق أحمد محمد شاكر، (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ)، ١: ٢٩٢؛ عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم الرازي. "تفسير القرآن العظيم". تحقيق أسعد محمد الطيب. (ط٣، المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩هـ)، ٤٦:١؛ عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، "زاد المسير في علم التفسير". تحقيق عبد الرزاق المهدي، (ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ)، ٣٣:١.

(١٤) انظر: الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، ١: ٢٩٤؛ الحسين بن مسعود البغوي، "معالم التنزيل في تفسير القرآن". تحقيق عبد الرزاق المهدي، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ٨٨:١؛ ابن كثير إسماعيل بن عمر، "تفسير القرآن العظيم". تحقيق محمد حسين شمس الدين، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ)، ٩٢:١؛ محمد بن أحمد القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق أحمد البردوني – إبراهيم أطفيش، (ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ)، ١: ٢٠٥.

(١٥) انظر: محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، "البحر المحيط". تحقيق صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ)، ٨٨:٥.

(١٦) انظر: الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ٢: ١١٧؛ محمد بن عمر الرازي، " مفاتيح الغيب". (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ١٤: ٣٠٢؛ القرطبي، " الجامع لأحكام القرآن"، ١: ٢٠٥؛ محمد بن علي الشوكاني، "فتح القدير". (ط١،

دمشق: دار ابن كثير، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ)، ٢: ٢٤٩؛ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، "التحرير والتنوير". (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ)، ٨:٢٠٧.

(١٧) يونس:٤٨، الأنبياء:٣٨، النمل:٧١، السجدة:٢٨، سبأ:٢٩، يس:٤٨، الملك:٢٥.

(١٨) انظر: الرازي، " مفاتيح الغيب"، ٢٢: ١٤٥.

(١) الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، ١٩: ٤٩٢.

(٢٠) انظر: الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ٢: ٣٨١.

(٢١) انظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٢:١١٠.

(٢٢) انظر الكلام على هذا الأسلوب في: أبوحيان الأندلسي ، "البحر المحيط"، ١٩٨:٦.

(٢٣) الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ٢: ٤١٩؛ وانظر: ابن كثير، " تفسير القرآن العظيم"، ٢٩٥:٤ باختصار.

(٢٤) انظر: علي بن أحمد الواحدي، "الوسيط في تفسير القرآن المجيد". تحقيق جماعة من المحققين، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ٢: ٥٨٦؛ الرازي، " مفاتيح الغيب"، ١٨: ٣٨٧؛ محمد بن محمد أبو السعود العمادي، " إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ٢٣٢:٤.

(٢٥) ابن كثير، " تفسير القرآن العظيم"، ٢٦٢:٥؛ وانظر أيضًا تفسيره للآية المشابهة في سورة الشعراء ١: ١٢٩ ففيها تفصيل بديع، الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ٣: ٣٠٧.

(٢٦) انظر: ابن الجوزي، "زاد المسير في علم التفسير"، ٣٣٨:٣؛ الرازي، " مفاتيح الغيب"، ٢٢: ٥٧؛ البغوي، "معالم التنزيل في تفسير القرآن"، ٤٦٥:٣.

(٢٧) عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، "درج الدرر في تفسير الآي والسور". تحقيق وليد بن أحمد بن صالح الحسين – إياد عبد اللطيف القيسي، (ط١، بريطانيا: مجلة الحكمة، ١٤٢٩هـ)، ١١٩٨:٣.

(٢٨) الرازي، " مفاتيح الغيب"، ٢٢: ٥٩.

(٢٩) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٦: ٢٣٤.

(٣٠) انظر: ابن الجوزي، "زاد المسير في علم التفسير"، ٣: ١٦٢؛ علي بن محمد الماوردي، "النكت والعيون". تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ٣: ٤٠٦.

(٣١) انظر: القرطبي، " الجامع لأحكام القرآن"، ١٣: ٦٤؛ محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي، "محاسن التأويل". تحقيق محمد باسل عيون السود، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ)، ٧: ٤٣٥؛ ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٦٢:١٩.

(٣٢) انظر: الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، ١: ١٣١.

(٣٣) ابن عطية عبد الحق بن غالب، " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ)، ٦٤:١.

(٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم، " تفسير القرآن العظيم"، ٨: ٢٧١٥ رقم ١٥٣٠٥.

(٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم، " تفسير القرآن العظيم"، ٨: ٢٧١٥ رقم ١٥٣٠٤.

(٣٦) أبو حيان الأندلسي، "البحر المحيط"، ١٢٢:٨.

(٣٧) الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، ٢١: ١٥٠.

(٣٨) انظر: الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، ٢١: ١٤١؛ ابن كثير، " تفسير القرآن العظيم"، ٤٣:٧؛ ابن الجوزي، "زاد المسير في علم التفسير"، ٣: ٥٥٨؛ البغوي، "معالم التنزيل في تفسير القرآن"، ٥٣:٤.

(٣٩) انظر: ابن الجوزي، "زاد المسير في علم التفسير"، ٢: ١١؛ ابن كثير، " تفسير القرآن العظيم"، ٢١٦:٣.

(٤٠) أحمد بن محمد الطحاوي، "شرح مشكل الآثار". تحقيق شعيب الأرنؤوط، (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ)، ٣: ١٥، رقم ٩٨٦؛ وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل". تحقيق جماعة من المحققين، (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ)، ٥: ٨٥، رقم ٢٩١٨ وقال المحقق: إسناده حسن؛ وأخرج قريبًا منه سليمان بن أحمد الطبراني، "المعجم الكبير". تحقيق حمدي بن عبد المجيد

السلفي، (ط٢، القاهرة: مكتبة ابن تيمية)، ١٢: ١٥٣، رقم ١٢٧٣٩؛ ومحمد بن عبد الواحد المقدسي، "الأحاديث المختارة". تحقيق د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، (ط٣، بيروت: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ)، ١١: ٣٤٥، رقم ٣٥١.

(٤١) الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ٤: ٢٦٠.

(٤٢) أخرجه الطبري عن ابن إسحاق مرسلًا، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، ١٨: ٥٣٩.

(٤٣) انظر: الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ٤: ٢٦٠.

(٤٤) انظر: الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، ٢١: ٦٢٨؛ الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ٤: ٢٦٠.

(٤٥) انظر: الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ٢: ١٢٣؛ الشوكاني، "فتح القدير"، ٢: ٢٥١.

(٤٦) ابن الجوزي، "زاد المسير في علم التفسير"، ٢: ١٣٥.

(٤٧) محمد رشيد بن علي رضا، "تفسير المنار". (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م)، ٨: ٤٤٩.

(٤٨) الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ٢: ١٢٣.

(٤٩) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٥٨:٩.

(٥٠) للمفسرين كلام في آلهة فرعون ماذا كانت انظره في: الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، ١٣: ٣٨؛ ابن أبي حاتم، "تفسير القرآن العظيم"، ١٥٣٨:٥؛ ابن الجوزي، "زاد المسير في علم التفسير"، ٢: ١٤٥.

(٥١) فرق بعض العلماء بين الكبر والكبرياء كما فعل أبو الحسن العسكري في فروقه حيث قال: الكبر مَا ذَكَرْنَاهُ (فسره بأنه: إظهار عظم الشأن) والكبرياء هي العزّ وَالملك وليست من الكبر في شي. انظر: الحسن بن عبد الله العسكري، "الفروق اللغوية". تحقيق محمد إبراهيم سليم، (القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع)، ص: ٢٤٦.

والتحقيق أنَّ الكبر والكبرياء بمعنى التجبر والتعاظم والتعالي، وإنما فسرت الكبرياء بالملك هنا لأن الملوك موصوفون بالكبر كما قال الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ٢: ٣٦٢، وبسط المسألة ليس هذا محله والله أعلم.

(٥٢) الشوكاني، "فتح القدير"، ٢: ٥٢٨.

(٥٣) الشوكاني، "فتح القدير"، ٢: ٤٣٨.

(٥٤) انظر: أبو حيان الأندلسي، "البحر المحيط"، ٤٠٨:٧.

(٥٥) الشوكاني، "فتح القدير"، ٣: ٤٧٠.

(٥٦) ابن أبي حاتم، " تفسير القرآن العظيم"، ٧: ٢٢٨٤، رقم ١٢٥٢١.

(٥٧) القرطبي، " الجامع لأحكام القرآن"، ١١: ٢٧٢.

(٥٨) الشوكاني، "فتح القدير"، ٤: ٧٣.

(٥٩) انظر: ابن كثير، " تفسير القرآن العظيم"، ٩٢:٦؛ والحديث أخرجه مسلم بن الحجاج القشيري، "صحيح مسلم". تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ٤: ٢١٩٧، رقم ٢٨٦٥.

(٦٠) الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ٤: ٤٣٧.

(٦١) انظر: أبو حيان الأندلسي، "البحر المحيط"، ٤٤٣:٧؛ أبو السعود،"رشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، ٧٣:٦؛ عبد الله بن أحمد النسفي، "مدارك التنزيل وحقائق التأويل". تحقيق يوسف علي بديوي، (ط١، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ –١٩٩٨م)، ٢: ٤٠٨.

(٦٢) الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ٣: ١٢٢.

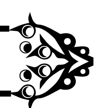
(٦٣) انظر: أبو حيان الأندلسي، "البحر المحيط"، ٥٦٥:٧.

(٦٤) الشوكاني، "فتح القدير"، ٤: ٣٦٠ باختصار يسير.

(٦٥) انظر: النسفي، "مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، ٢: ٢٧؛ أبو السعود،" رشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، ١٥٤:٤.

(٦٦) الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ٢: ٣٥٢.

(٦٧) انظر: عبد الله بن عمر البيضاوي، " أنوار التنزيل وأسرار التأويل". تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ)، ١١٦:٣٠؛ الشوكاني، "فتح القدير"، ٢: ٥١٤.





(٦٨) انظر: تفسير الماتريدي ٦: ٥٢.

(٦٩) انظر: أبو حيان الأندلسي، "البحر المحيط"، ٧١:٦؛ الحسن بن محمد النيسابوري، "غرائب القرآن ورغائب الفرقان". تحقيق الشيخ زكريا عميرات، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ)، ٣: ٥٨٩؛ الرازي، "مفاتيح الغيب"، ١٧: ٢٦٤.

(٧٠) انظر: محمد بن عبد الرحمن الإيجي، "جامع البيان في تفسير القرآن". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م)، ١٣٩:٢.

(٧١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٩٦:١١.

(٧٢) انظر: أبو السعود،" رشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، ٦:٥؛ الشوكاني، "فتح القدير"، ٣: ٨١؛ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، "أضواء البيان". (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ)، ٦: ٢٣.

(٧٣) الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ٢: ٥١٣.

(٧٤) انظر: محمد بن أحمد المحلي وعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، "تفسير الجلالين"، (ط١، القاهرة: دار الحديث)، ص٣٧١؛ النسفي، "مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، ٢: ٢٦١.

(٧٥) الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ٢: ٧٦١.

(٧٦) انظر: يحيى بن سلام، "تفسير يحيى بن سلام". تحقيق د. هند شلبي. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ)، ١: ١٤١؛ البغوي، "معالم التنزيل في تفسير القرآن"، ١٣٨:٣.

(٧٧) أبو حيان الأندلسي، "البحر المحيط"، ٦٣:٧.

(٧٨) انظر: محمد بن صالح العثيمين، "تفسير جزء عمّ". إعداد وتخريج فهد بن ناصر السليمان، (ط٢، الرياض: دار الثريا للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م)، ص ٥٦.

(٧٩) أخرجه محمد بن إسماعيل البخاري، "صحيح البخاري". تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، (ط١، دار طوق النجاة،١٤٢٢هـ)، ١٢:٥، رقم ٣٦٨٨.

(٨٠) الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، ١٣: ٢٩٣.

(٨١) أخرجه الإمام مسلم، "صحيح مسلم". في كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة ١: ٣٦، رقم ٨.

(٨٢) انظر: البغوي، "معالم التنزيل في تفسير القرآن"، ٢٨١:٤.

(٨٣) انظر: الرازي، " مفاتيح الغيب"، ٥: ٥٢٠؛ ابن الجوزي، "زاد المسير في علم التفسير"، ٤: ٣٦٩؛ أبو السعود،" رشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، ٦٥:٩.

(٨٤) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، "الدر المنثور". (بيروت: دار الفكر)، ٨: ٣٤٤.

(٨٥) انظر: الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ١: ١٥٦؛ النسفي، " مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، ١: ١٠٣.

(٨٦)الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، ٢: ٢٥١؛ البغوي، "معالم التنزيل في تفسير القرآن"، ١٣٥:١؛ ١: ١٩٨.

(٨٧) أخرجه البخاري، "صحيح البخاري"، باب (من كان عدوًا لجبريل)، ١٩:٦، رقم ٤٤٨٠.

(٨٨) القرطبي، " الجامع لأحكام القرآن"، ٢: ٤.

(٨٩) انظر: ابن الجوزي، "زاد المسير في علم التفسير"، ١: ٣٣٧؛ القرطبي، " الجامع لأحكام القرآن"، ٤: ٢٤٢؛ الواحدي، "الوسيط في تفسير القرآن المجيد"، ١: ٥٠٧؛ الشوكاني، "فتح القدير"، ١: ٤٤٩.

(٩٠) انظر: علي بن محمد الخازن، " لباب التأويل في معاني التنزيل". تصحيح محمد علي شاهين، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ١: ٣١٠؛ الرازي، " مفاتيح الغيب"، ٩: ٣٥٩.

(٩١) انظر: أبو بكر الجرجاني، "درج الدرر في تفسير الآي والسور"، ٥٤٢:٢.

(٩٢) انظر: أبو حيان الأندلسي، "البحر المحيط"، ٣٩٣:٣.

(٩٣) الشوكاني، "فتح القدير"، ١: ٤٤٩.

(٩٤) انظر: أبو حيان الأندلسي، "البحر المحيط"، ٣٩١:٣.



(٩٥) انظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٥:٢٣٧.

(٩٦) انظر: الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ١ :٥٧٨؛ ابن عطية، " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز٢: ١٢٦.

(٩٧) انظر: الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ٢: ٣٢٤؛ البغوي، "معالم التنزيل في تفسير القرآن"، ٢:٤٠٦.

(٩٨) انظر: السيوطي، "الدر المنثور"، ٤: ٣٥٢؛ النسفي، "مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، ١: ٧١٨.

(٩٩) الشوكاني، "فتح القدير"، ٢: ٤٧٥.

(١٠٠) انظر: الرازي، " مفاتيح الغيب"، ١٦: ١٧٦؛ أبو حيان الأندلسي، "البحر المحيط"، ٥:٥٣١.

(١٠١) انظر: القرطبي، " الجامع لأحكام القرآن"، ١٦: ٢٣٨؛ أبو السعود،" رشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، ٦:٩٨.

(١٠٢) انظر: الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، ٢٢: ١٦٩؛ السيوطي، "الدر المنثور"، ٧: ٤٤٦.

(١٠٣)الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ١: ١١٧؛ ابن عطية، " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، ١:١١٢.

(١٠٤) انظر تقرير ذلك في: الرازي، "مفاتيح الغيب"، ٢: ٣٦١.

(١٠٥) انظر: الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، ١: ٣٩٩؛ ابن أبي حاتم، " تفسير القرآن العظيم"، ١: ٦٨.

(١٠٦) الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، ١: ٤٠٧.

(١٠٧) انظر: الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ١: ١١١؛ الرازي، " مفاتيح الغيب"، ٢: ٣٦٢.

(١٠٨)الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ١: ١٩٨؛ أبو السعود،" رشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، ١:١٧١.

(١٠٩) انظر: القرطبي، " الجامع لأحكام القرآن"، ٢: ١٤٨؛ الحسين بن محمد الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن". تحقيق صفوان عدنان الداودي، (ط١، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، ١٤١٢هـ)، ص ٤١٤.

(١١٠) انظر: القرطبي، " الجامع لأحكام القرآن"، ١٥: ٣٧.

(١١١) انظر: ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، "مجموع الفتاوى". تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. (المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ –١٩٩٥م)، ٢: ٤١٠.

(١١٢) انظره بتمامه في الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، ٢٤: ٢٨.

(١١٣) انظر صفتهم في: السيوطي، "الدر المنثور"، ٨: ٢٢٦؛ القرطبي، " الجامع لأحكام القرآن"، ١٩: ٧٩؛ ابن الجوزي، "زاد المسير في علم التفسير"، ٤: ٣٦٤.